

أبو الحسن علي بن الحسين السدي

# وأذن في الناس بالحج

ملتم نشر والتوزيع

المجمع الاسلامي العلمي

ندوة العلماء - من ب - ۱۱۹

لكهنو - الهند

أبو الحسن علي بن الحسين السدي

# وأذن في الناس بالحج

ملتم نشر والتوزيع  
المجمع الاسلامي العلمي  
ندوة العلماء - من ب - ۱۱۹  
لكهنو - الهند

## الطبعة الثالثة

من مطبوعات المجمع الاسلامي العلمي - لكهنئو

---

رقم ١٣٦

حقوق الطبع محفوظة

مطبوعة لكهنئو بيليشنك هاؤس ولكهنئو - الهند

١٤٠٠ هـ المصادف ١٩٨٠ م

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،  
وعلى آله واصحابه أجمعين ، أما بعد :

فقد صدر لي كتاب باسم « الاركان الاربعة في ضوء  
الكتاب والسنة ، وبمقارنة مع الديانات الاخرى » من دار الفتح  
في بيروت ، في عام ١٣٨٢ هـ ، تعدت فيه عن الصلاة ، والزكاة ،  
والصوم ، والحج ، عن مقاصدها واسرارها ، كما قررها الكتاب  
والسنة ، وكما فهمها علماء المسلمين ، والراسخون في العلم  
والدين ، وعثيت ببيان روحها وحقيقتها ، ورفع اللثام عن  
وجهها ، وازالة ما طرا عليها من تكلفات عجمية ، وافكار دخيلة ،  
وتفسيرات خاضعة لاعوامل السياسية او الفلسفات الاجنبية ، مع  
مقارنة باشكالها ونظمها ، وشرائعها وتقاليدها في الديانات  
الاخرى - اليهودية ، والمسيحية ، والبرهمية بصفة خاصة -  
وقد لقي الكتاب ترحيبا وتقديرا في المشتغلين بالعلم والدين ،  
والحمد لله أولا وأخرا .

وقد رأى بعض الاخوان أن مجرد من هذا الكتاب البحث الخاص بالحج ، لأنه فريضة تتطلب اهتماما أكثر ، وعناية أشد وأقوى ، لبعده مركزه عن أكثر أجزاء العالم الإسلامي ، ووجوبه مرة في العمر ، فتشدد إليه الرجال ، وتقطع فيه البراري والقفار ، وتركب فيه الاجواء والبحار ، ويأتيه المسلمون من كل فج عميق ، ومرمى سعيق ، فيتطلب بطبيعة الحال فهما عميقا لمقاصده وأسرارها ، وتشبعا بروحه وحقيقته ، وكان إخضاعه للاتجاهات الجديدة ، والمعاني السياسية أكثر من كل ركن ، حتى أصبح في نظر كثير من المثقفين ، بل الكتاباء الإسلاميين مؤتمرا سياسيا عالميا ، يعقد كل عام ، وليست له الا هذه القيمة السياسية الاجتماعية ، فوافق المؤلف على رأي كثير من أصدقائه أن يجرد هذا المقال من ذلك الكتاب ، وينشر كرسالة مفردة ، لأنها تعرض الحج في إطاره الإسلامي الاصيل الواسع ، وتثير معانيه العميقة ، ومقاصده البعيدة ، وروحه القوية ، الابراهيمية الحنيفة ، وها نحن أولاء نقدم الطبعة الثانية لهذه الرسالة - وفيها زيادة وتنقيح - الى العجاج الكرام ، وزوار بيت الله الحرام ، ليكونوا في أداء هذا الركن العظيم على بصيرة ، ومعرفة أصيلة عميقة ، بمقاصده وحقيقته ، وروحه الذي شرع لأجلها ، والله الموفق والمعين .

أبو الحسن علي الحسن الندوي

١٥ شعبان ١٣٩٤ هـ

١ ايلول ١٩٧٤ م

ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« واذن في الناس بالحق ياتوك رجالا ،  
وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق .  
ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله  
في أيام معلومات صلى ما رزقهم من  
بهيمة الانعام ، فكلوا منها واطعموا  
البائس الفقير . ثم ليقتضوا تفثهم ،  
وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت  
العتيق (١) » .

الاسلام دين توحيد وتجريد

لا وساطة فيه ولا تمثيل :

الاسلام دين توحيد خالص ، دين لا يؤمن

١ - الآيات ( ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ ) من سورة الحج .

بالوساطة بين العبد وربّه (٢) ، ولا بمشهود محسوس  
يركز عليه الانسان تفكيره ، ويصرف اليه همهته ،  
ليتخيل به الاله الذي لا تدركه الابصار ، ويرتبط به  
في خياله ، ويتمسك بأذياله ، فلا وسائط ولا مظاهر ،  
ولا صور ولا أصنام ، ولا هياكل ولا طبقة كهان  
ولا سدنة : « واذا سألك عبادي عني فاني قريب ،  
أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لي ،  
وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون (٣) » « فاعبد الله مخلصا  
له الدين • ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا  
من دونه أولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله  
زلفى (٤) » •

اذا فالاسلام دين يطلب تجرُّدا في الخيال، وسموا  
في الفكر ، ونقاء في الارادة والنية ، واخلاصا في

٢ - الا الرسل والانبياء ، بمعنى أنهم واسطة بين الخالق  
والخلق في تبليغ الرسالة ، والتمريف بالله وصفاته ،  
وما يليق به ، ما لا يليق ، والارشاد الى الطريق المستقيم •

٣ - الآية ( ١٨٦ ) من سورة البقرة •

٤ - الايتان ( ٢ - ٣ ) من سورة الزمر •

المعمل والتطبيق ، وانقطاعا عن الغير ، لا يتصور  
فوقه وأكثر منه ، ومستوى في الفكر والمقيدة ؛ لم  
تبلغ الانسانية ولا الاديان والفلسفات والنظم  
الدينية أو العقلية الى مثله أو قريب منه ، وقد وصف  
الله نفسه بما لا مزيد عليه في الدقة والسمو ، فقال :  
« ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير » .

حاجة الانسان الى « مشاهد » يوجه اليه اشواقه ،

ويعقق رغبته من التعظيم والدنو :

ولكن الفطرة البشرية ، هي الفطرة البشرية ،  
فالانسان ما زال - ولا يزال - باحثا عن شيء يراه  
بعينه ، فيوجه اليه اشواقه ، ويقضي به حنينه ،  
ويشبع به رغبته الملحة في التعظيم والدنو .

شعائر الله وحكمتها :

وقد اختار الله أمورا ظاهرة محسوسة ، اختصت

---

٥ - الآية ( ١١ ) من سورة الشورى .

به ، ونسبت اليه ، وتجلت عليها رحمته ، وحفتها  
 عنايته ؛ بحيث اذا رُئيت ذُكر الله ، وارتبط بها  
 وقائع وحوادث وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله  
 وآلائه ، ودينه وتوحيده ، وحسن بلاء أنبيائه ،  
 وسماها «شعائر الله» (٦) التي جعل تعظيمها تعظيمه ،  
 والتفريط في جنبها تفريطا في جنبه ، وسمح للناس  
 أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم ، ورغبتهم  
 الفطرية في الدنو والمشاهدة ، بل حثَّ على ذلك ،  
 ودعا اليه فقال : « ذلك ، ومن يعظم شعائر الله ،  
 فإنها من تقوى القلوب (٧) » وقال : « ذلك ومن يعظم  
 حرمان الله فهو خير له عند ربه (٨) » .

عنصر الهيام والعنان في طبيعة الانسان ،

اثرهما في الحياة ومنزلتهما من الدين :

ثم ان الانسان ليس عقلا مجردا، ولا كائنا جامدا

٦ - اقرأ البحث اللطيف في ذلك ، في حجة الله البالغة ، لحكيم

الاسلام احمد بن عبد الرحيم الدهلوي ( ج ١ ، ص ٥٥ ) .

٧ - الآية ( ٣٢ ) من سورة الحج .

٨ - الآية ( ٣٠ ) من سورة الحج .

ينخضع لقانون ، أو ارادة قاسرة ، ولا جهازا حديديا  
يتحرك ويسير تحت قانون معلوم أو على خط مرسوم ،  
ان الانسان عقل وقلب ، وايمان وعاطفة ، وطاعة  
وخضوع وهيام وولع ، وحب وحنان ، وفي ذلك سر  
عظمته وشرفه وكرامته ، وفي ذلك سر قوته  
وعبقريته وابداعه ، وسر تفائيه وتضحيته ، وبذلك  
استطاع أن يتغلب على كل معضلة ومشكلة ، وأن  
يصنع المجائب والخوارق ، واستحق أن يحمل أمانة  
الله التي اعتذرت عنها السموات والارض والجبال ،  
فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الانسان ،  
ووصل الى ما لم يصل اليه ملك مقرب ، ولا حيوان ،  
ولا نبات ، ولا جماد .

ان صلة هذا الانسان بربه ليست صلة قانونية  
عقلية فحسب ، يقوم بواجباته ، ويدفع ضرائبه ،  
وينخضع أمامه ، ويطيع أوامره وأحكامه ، انما هي  
صلة حب وعاطفة كذلك ، صلة لا بد أن يرافقتها  
ويقترن بها ويتحكم فيها حنان وشوق ، وهيام

ولوعة ، وتفان وتهالك ، والدين لا يمنع من ذلك ، بل يدعو اليه ، ويغذيه ويقويه ، فتارة يقول القرآن : « والذين آمنوا أشد حبا لله (٩) » وتارة يقول : « قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين (١٠) » ويذكر أنبياءه ورسله ، وينوّه بحبهم وحنانهم ، ويحدث عن أشواقهم وتفانيهم في هذا الحب ، فيقول عن يحيى - عليه السلام - : « وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة ، وكان تقيا (١١) » . ويحكي قصة خليله ابراهيم كيف أثر حب الله وطاعته على حب ولده ، وقلدة كبده ، وكيف وضع السكين على حلقومه ، وحاول ذبحه حتى شهد ربّه بصدقه

٩ - الآية ( ١٦٥ ) من سورة البقرة .

١٠ - الآية ( ٢٤ ) من سورة التوبة .

١١ - الآيتان ( ١٢ - ١٣ ) من سورة مريم .

وحسن بلائه ، وقال : « يا ابراهيم • قد صدقت  
الرؤيا ، انا كذلك تجزي المحسنين • ان هذا لهو  
البلاء المبين (١٢) » ولذلك قال في وصف ابراهيم :  
« ان ابراهيم لعليم أوّاه منيب (١٣) » •

« الصفات » هي التي تثير الحب وتبعث العنان ،

لذلك اطال واكثر من ذكرها القرآن :

وذلك سر اطالة القرآن في ذكر صفات الله وأفعاله  
وآلائه ونعمائه ، واشادته بها ، والعودة اليها مرة  
بعد مرة ، فان الصفات هي التي تثير الحب وتبعث  
العنان وتوجد الاشواق ، وذلك سر تفصيل القرآن  
الذي يعبر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الاسلام ،  
« بالنفي المجمل والاثبات المفصل (١٤) » فان الاثبات  
هو الذي ينبع منه الحب ، ويفيض منه العنان ،

---

١٢ - الآيات ( ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ ) من سورة الصافات •

١٣ - الآية ( ٧٥ ) من سورة هود •

١٤ - التعبير لشيخ الاسلام ابن تيمية •

وتتبعث به الاشواق ، وتتغذى به العاطفة ، فاذا  
كان النفي رائد العقل ، كان الاثبات رائد القلب .

ولولا هذه الصفات العليا واسماء الله الحسنی ، التي نطق  
بها القرآن ، ووردت بها السنة ، وهام بها الهائمون ، وتفنى  
بها العارفون ، وسبّح بها المسبّحون ، وسبح في بحارها ونزل  
في أعماقها الفواصون ، لكان هذا الدين خشيبا جامدا ، لا يملك  
على اتباعه قلبا ، ولا يثير فيهم عاطفة ، ولا يبعث فيهم حماسة ،  
ولا يحدث في القلب رقة ، ولا في الصلاة خشوعا ، ولا في الصيام  
دموعا ، ولا في الدعاء ابتهاالا ، ولا في الجهاد تفانيا ، وكانت  
علاقة العبد بربه علاقة معدومة ميتة لا حياة فيها ولا روح ،  
ولا مرونة ولا سعة ، وكانت الحياة كلها حياة رتيبة خشبية ،  
لا عاطفة فيها ولا اشواق ، ولا حنان فيها ولا هيام ، واذا : اي  
فرق بين الحياة والموت ، وبين الانسان والجماد ؟ !

ما قيمة كأس لا تطفح ولا تفيض ؟ :

لقد كان المسلم في حاجة الى غذاء للقلب ، والى  
زاد للعاطفة ، والى أن يقضي شوقه ، ويروي غلته ،  
مرة بعد مرة ، وعلى فترة بعد فترة ، وكان في حاجة  
الى أن تطفح كأسه ، فما قيمة كأس تمتلئ ولا

تطفع ؟ • وكان في حاجة الى أن تفيض هذه الكأس ،  
فما قيمة كأس تطفع ولا تفيض ؟ !

تسليّة البيت والحج

لعنان المسلم وهيمانه :

وقد تفتنّ حجة الاسلام « الفزالي » بذكائه  
النادر ، وفقهه الدقيق لأسرار التشريع لهذه النكتة ،  
وعرف أن الشوق غريزة في الانسان الحي السليم ،  
وحاجة من حاجاته فيبحث له عما يقضي به حاجته ،  
ويروي غلته ، وكان البيت العتيق وما حوله من  
شعائر الله ، والحج وما فيه من مناسك ، خير  
ما يحقق رغبته ، ويسلي حنانه وعاطفته ، وقد قال  
الله تعالى : « واذا بواً أنا لا يراهم مكان البيت أن  
لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين  
والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك  
رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق •  
ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام

معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها  
وأطعموا البائس الفقير • ثم ليقتضوا ثقتهم ،  
وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق (١٥) » •

يقول الغزالي :

« فالشوق الى لقاء الله عز وجل يشوقه الى اسباب اللقاء  
لا معالة، هذا مع ان المعجب مشتاق الى كل ما له الى محبوبه اضافة،  
والبيت مضاف الى الله عز وجل ، فبالعري ان يشتاق اليه لمجرد  
هذه الاضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ما وُعد عليه من الثواب  
الجزيل (١٦) » •

ويردده شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم  
الدهلوي ، فيشير الى نفس النكتة ، ويجعلها حكمة  
الحج الاساسية ، فيقول :

« وربما يشتاق الانسان الى ربه اشد شوق ، فيحتاج الى  
شيء يقضي به شوقه فلا يجد الا الحج (١٧) » •

١٥ - الآيات ( ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ ) من سورة الحج •

١٦ - احكام علوم الدين ( ج ١ - ص ٢٤ ) •

١٧ - حجة الله البالغة ( ج ١ ص ٥٩ ) •

لقد كان للمسلم ان يقضي هذا الشوق ، وان يبرز هذا الحنان ، وان تفيض كأسه في الصلوات التي يصلّيها كل يوم ، فيسلّي بها قلبه ، ويطفيء بها غلته ، ويهدىء بها ثأثرته ، ويخفف بها حرارة شوقه ، ووهج نفسه ، ولكنها قطرات محدودة تتكون خشوعا ، أو تسقط دموعا ، انها قطرات قد لا تفي بما يجيش في الصدر من حنان وولوع ، وهي قطرات قليلة في بعض الاحيان لا تسمن ولا تغني من جوع \*

طفرة أو قفزة واسعة من

سجن ضيق الى عالم فسيح :

وكان للمسلم ان يروي ظمأ روحه ، ويقضي حاجة حنانه ، ويكسر سؤرة نفسه ، ويشور على « وثنية » عاداته ومألوفه ، وأن يغذي روحه بتخلية معدته في شهر رمضان ، ولكنها ساعات محدودة كذلك ، محفوفة بما يخفف أثرها ويضعف سلطانها ، من أكلة متخمّة وريّ مسرف ، وراحة

منعمة ومجتمع ثائر ، ومدنية قد أحاطت بالصائم ،  
كما تحيط البحار المتلاطمة بجزيرة صغيرة ، فكان  
المسلم - بكل ذلك - في حاجة الى طفرة ، أو قفزة  
واسعة يفك بها أغلاله وسلاسله ، وينسلخ بها من  
سجنه الضيق القديم ، العتيق الخالق ، وينتقل من  
عالم كله قديم مألوف ، ومقيد محدود ، ومخطوط  
مرسوم ، ومصنوع معمول ، الى عالم كله جديد  
وطريف ، وحر منطلق ، وثائر مارد ، كله حب  
وغرام ، وشوق وهيام ، قد تحرر من كل رق ، وثار  
على كل وثن ، وكفر باختلاف الجنس واللون  
والوطن ، وآمن بوحدة الالهية ، وبوحدة المنعم  
والوهاب ، وبوحدة الانسانية ، وبوحدة العقيدة ،  
وبوحدة المطلوب ، وهتف الناس جميعا بصوت  
واحد: « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ،  
ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

لقد كان المسلم في حاجة - بعد هذه الصلوات ،  
التي يصلحها كل يوم ، وبعد شهر رمضان ، الذي

يصومه كل عام ، وبعد الزكاة ، التي يقوم بها اذا  
تم التصاب وحال العول - الى أن يشهد موسما هو  
ربيع الحب والحنان ، وملتقى المحبين والمخلصين ،  
ومشهد العشاق والهائمين .

تعد لعباد العقل والمادة ، ودعوة الى  
الايمان بالغيب ، واتباع الامر المجرد :

وكان المسلم في حاجة الى ان يثور على عقله الرزين الوقور،  
المقلد المطبق ، وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد ؟ . وكان  
في حاجة الى ان يتغذى الدائرة المرسومة من عادات ومالوفات ،  
لقوانين وضعية ، وحضارة مصطنعة ، ومجتمع قاس ، ويفك  
قيوده وأغلاله ، وينتزع الزمام من يد عقله الذي استبد به زمانا  
طويلا ، ويعطيه لقلبه وعاطفته ، فيتحكمان فيه ما شاء ، ويهيم  
على وجهه كما هام الهائمون ، ويذهب في الحب كل مذهب كما  
فعل العشاق المتيثمون ، فلا حرية لمن ملكه المجتمع ، وسيطرت  
عليه الحضارة ، وتسلمت عليه آلهة التقاليد ، ولا توحيد لمن  
أسرته العادات ، والمالوفات والشهوات ، ولا يعتبر مطيعا منقادا،  
مسلم مستسلما ، من اعتمد دائما على عقله لا ينشط لعمل ، ولا  
يسرع لامتثال أمر ، حتى يزنه في ميزان عقله المخلوق ، ويعرف  
فوائده المادية المحسوسة . والحج بوضعه الدقيق الغامض ، المنافي

للمالوفى المعروف لعباد العقل والمادة، وأسارى النظم والترتيبات،  
دعوة الى الايمان بالغيب ، واتباع الامر المجرد ، وعزل العقل  
عن وظيفته لمدة محدودة ، وفي مكان محدود ، وصرفه عن طلب  
الدليل والحكمة ، والمنطق والفلسفة في كل حين واوان ، وفي كل  
زمان ومكان .

وقد أبدع حجة الاسلام الغزالي كل الابداع في  
بيان روح الحج وحقيقته ، - وهي الايمان بالغيب ،  
والامثال المطلق - وصَوَّر بقلمه البليغ وريشته  
البارعة ، صورة الحج الرائعة ، وبلغ الى لب الدين  
وجوهره ، وروح الاسلام وحقيقته في شرح هذا  
الركن العظيم ، وقد غفل عن ذلك أكثر العلماء  
والكتّاب في القديم والحديث ، يقول رحمه الله :

« ووضعه ( أي البيت ) على مثال حضرة الملوك ، يقصده  
الزوار من كل فج عميق ، ومن كل اوب سعيق ، شعثا غبرا ،  
متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة  
لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يعويه بيت ، أو يكتنفه  
بلد ، ليكون ذلك ابلغ في رفهم وعبوديتهم ، وأتم في انهم  
وانقيادهم .

ولذلك وظّف عليهم فيها أعمالا لا تانس بها النفوس ، ولا تهتدي الى معانيها العقول ، كرمي الجمار بالاحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فان الزكاة ارفاق، ووجهه مفهوم، وللعقل اليه ميل ، والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله ، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل . والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال ، هي حياة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل ، فأما ترددات السعي ورمي الجمار ، وأمثال هذه الاعمال ، فلا حظ للنفوس ، ولا أنس للطبع فيها ، ولا اهتداء للعقل الى معانيها ، فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد ، وقصد الامتثال للامر من حيث أنه امر واجب الاتباع فقط .

وفيه عزل للعقل عن تصرفه ، وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فان كل ما ادرك العقل معناه ، مال الطبع اليه ميلا ما ، فيكون ذلك الميل معيننا للامر وباعثا معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص : « لبيك بحجة حقا ، تعبدنا ورقا » ، ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها .

واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ، ربط نجات الخلق بأن تكون أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستغباد ، كان

ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس ،  
وصرفها من مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق ،  
واذا تفلنت لهذا ، فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال  
المعجبية ، مصدره الذهول عن أسرار التعبدات ، وهذا القدر كاف  
في تفهم أصل الحج ان شاء الله تعالى ( ١٨ ) .

ويقول في الرمي ، ويذكر أن العمدة فيه الانقياد  
والامر المجرد :

« فالقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية ،  
وانتهاضا لمجرد الامتثال ، من غير حظ للعقل والنفس فيه . ثم  
القصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس  
- لعنه الله تعالى - في ذلك الموضع ، ليندخل على حجة شبهة ،  
او يفتنه بمعصية . فأمر الله عز وجل ان يرميه بالحجارة طردا  
له وقطعا لامله ، فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده ،  
فلذلك رماه ، واما انا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم ان  
هذا الخاطر من الشيطان ، وانه الذي القاه في قلبك ليفتر عزمك  
في الرمي فيه برغم أنف الشيطان .

واعلم انك في الظاهر ترمي العصي الى العقبة ، وفي الحقيقة

---

١٨ - احياء علوم الدين ( ج ١ ص ٢٤٠ ) .

ترمي به وجه الشيطان ، وتقسم به ظهره ، إذ لا يعصل ارغام  
أنفه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى ، تعظيما له بمجرد الامر  
من غير حظ للنفس والعقل فيه (١٩) .

ويقول في الذبح :

« فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكمل  
الهدى ، وارج' أن يعتق الله بكل جزء منه جزءا منك من النار ،  
فهكذا ورد الوعد ، فكلما كان الهدي أكبر ، وأجزاءه أوفر ،  
كان فداؤك من النار أعم (٢٠) . »

« الحاج » طوع اشارة ورهين أمر :

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله ، كله تمرين  
وتمثيل للاطاعة المطلقة ، وامتثال للامر المجرد ،  
وسعي وراء الامر ، وتلبية واجابة للطلب ، فالحاج  
يتقلب بين مكة ومنى ، وعرفات والمزدلفة ، ثم منى  
ومكة : يقيم ويرحل ، ويمكث وينتقل ، ويخيّم

١٩ - احياء علوم الدين ( ج ١ ص ٢٤٣ ) .

٢٠ - احياء علوم الدين ( ج ١ ص ٢٤٣ ) .

ويقلع ، انما هو طوع اشارة ورهين أمر ، ليست له ارادة ولا حكم ، وليس له اختيار ولا حرية ، ينزل بمنى فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال الى عرفات من غير أن يقف بالمزدلفة ، ويقف بعرفات ويظل سحابة النهار مشتغلا بالدعاء والعبادة ، وتحدثه نفسه بالملكث بعد الغروب ليستجم ويستريح ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى المزدلفة ، ويقضي حياته محافظا على الصلوات في وقتها ، ويؤمر بترك صلاة المغرب في عرفة لانه عبد لربه ، ليس عبدا لصلاته وعاداته ، فلا يصليها الا بالمزدلفة جمعا مع العشاء ، وتطيب له الاقامة في المزدلفة ، فيريد أن يطيلها ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى منى .

وهكذا كانت حياة ابراهيم وحياة الانبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين والمتيهمين ، نزول وارتعال ، ومكث وانتقال ، وعقد وحل ، ونقض وابرار ، ووصل وهجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا اجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

## فضل المكان والزمان وموسم الحب والحنان :

وكان ينبغي أن يكون ذلك في مكان قد قام فيه أكبر المحبين وامام المخلصين ، وأشد الناس حبا لله ، وأحبهم الى الله في عصره ، وأسرته الصغيرة الطيبة المباركة ، بأكبر دور في الحب والولاء ، والاخلاص والوفاء ، والايثار والفداء ، وقاموا بأروع رواية وأجملها في تاريخ الحب السامي والولاء الطاهر ، والاخلاص المعجز ، وجاء من بعدهم الانبياء والمرسلون ، والموحدون المخلصون ، والمحبون المتفانون في كل عصر ، فنسكوا مناسكهم وشهدوا مشاهدهم ، واحتذوا حذوهم ، وترسّموا خطاهم ، وحكوا هذه الرواية وأعادوها ، فطافوا حول البيت ، وسمعوا بين الصفا والمروة ، ووقفوا بعرفات ، وبأثوا في المزدلفة ، ورموا الجمرات ، ونسكوا في منى .

وكان في المكان والزمان ، وفصول الرواية التي يعيدونها والأعمال التي يقلدونها ، ونسائم الحب التي ينشعرونها ، والمجو الفائض بالايمان والحنان الذي يعيشون فيه ، وطبقات الامة التي يتصلون بها

ويعاشرونها ، وفي هذا الالتقاء الديني الروحي  
الذي لا نظير له على وجه الارض ، وفي هذا الضجيج  
من الدعاء ، والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد  
الحياة الى القلوب الميتة ، ويحرك الهمم الفاترة ،  
وينبسه النفوس الخاملة ، ويشعل شرارة الحب  
والطموح التي انطفأت ، أو كادت تنطفىء ، ويجلب  
رحمة الله .

وقد أشار العلماء العارفون الى ما في اجتماع  
المسلمين العظيمة ، واجتماع هممهم ودعواتهم  
وقلوبهم الصادقة من تحريك لرحمة الله تعالى ، ومن  
تحريك للقلوب القاسية واثارة للاشواق .

يقول حجة الاسلام الفزالي :

« فاذا اجتمعت هممهم ، وتجردت للضراعة والابتهال  
قلوبهم ، وارتفعت الى الله سبحانه أيديهم ، وامتدت اليه أعناقهم ،  
وشخصت نحو السماء أبصارهم ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب  
الرحمة ، فلا تظن أنه يغيب أملهم ويضيع سعيهم ، ويدخر عنهم

رحمة تفرهم (٢١) »

ويقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم  
الدهلوي :

« اعلم ان حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين  
في زمان ، يذكر حال المنعم عليهم من الانبياء والصدّيقين ،  
والشهداء والصالحين ، ومكان فيه آيات بينات ، قد قصدت جماعات  
من أئمة الدين ، معظّمين لشعائر الله ، متضرعين راغبين وراغبين  
من الله الخير ، وتكفير الخطايا ، فان الهمم اذا اجتمعت بهذه  
الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة ، وهو قول صلى  
الله عليه وسلم : « ما رؤي الشيطان يوما ، هو فيه أصغر ولا  
أدحر ، ولا أحقر ولا أغيبظ ، منه في يوم عرفة ( الحديث ) (٢٢) » .

وقال :

« ومن باب الطهارة النفسانية ، العلول بموضع لم يزل  
الصالحون يعظّمونه ويعلون فيه ، ويعمرونه بذكر الله ، فان ذلك

٢١ - احياء علوم الدين ( ج ١ ص ٢٤٣ ) .

٢٢ - حجة الله البالغة ( ج ١ ص ٥٩ ) .

يجلب تعلق همم الملائكة السفلية ، ويعطف عليه دعوة الملائكة الاعلى  
الكلية لاهل الغير ، فاذا حل به جلب الوانهم على نفسه ( ٢٣ ) .

تجديد الصلة بامام الملة الحنيفية  
« ابراهيم » من اعظم مقاصد الحج :

ومن مقاصد الحج الرئيسية تجديد الصلة بامام الملة الحنيفية  
ومؤسسها ابراهيم الخليل ، والتشبع بروحه ، والمعاظلة على اركانه ،  
والمقارنة بين حياتنا وحياته ، وعرضها عليها ، واستعراض ما  
يعيش فيه المسلمون في العالم ، وتوضيح ما وقع في حياتهم من  
اخطاء او فساد او تعريف ، واعادة ذلك كله الى اصله ومنبعه ،  
فالحج عرضة سنوية للملة ، تضبط اعمال المسلمين وحياتهم ،  
ويتخلصون بها من نفوذ الامم والمجتمعات التي يعيشون فيها .

قال شيخ الاسلام احمد بن عبد الرحيم الدهلوي :

« ( ومن مقاصد الحج ) موافقة ما توارث الناس  
عن سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فانهما  
امام الملة الحنيفية ، ومشرعاها للعرب ، والنبي

٢٣ - حجة الله البالغة ( ج ١ ص ٥٩ ) .

صلى الله عليه وسلم بعث لتظهر به الملة الحنيفية ،  
وتعلو به كلمتها ، وهو قوله تعالى : « ملة أبيكم  
ابراهيم (٢٤) » .

فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن امامها  
كخصال الفطرة (٢٥) ، ومناسك الحج ، وهو قوله  
صلى الله عليه وسلم : « قفوا على مشاعركم ، فانكم  
على ارث من ارث أبيكم (٢٦) » .

#### اعادة قصة ابراهيم وتمثيلها في الحج

فمن أوضح ملامح الحج ، والروح المسيطرة على  
جميع أعماله ومناسكه ، هو الحب والهيام والتفاني ،

---

٢٤ - الآية ( ٧٨ ) من سورة الحج -

٢٥ - قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة :  
قص الشارب ، واعفاء اللحية ، والسواك ، والاستنشاق  
بالماء ، وقص الاظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الابط ،  
وحلق العانة ، وانتقاص الماء ، يعني الاستنجاء ، قال  
الراوي ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة » ، ( في  
السنن ) .

٢٦ - حجة الله البالغة : ( ج ٢ ص ٤٢ ) .

واعطاء زمام الجسم والفكر للقلب والعاطفه ،  
وتقليد العشاق والمحبين ، وامامهم وزعيمهم ابراهيم  
الخليل ، فحينما طواف الحب والهيام حول البيت  
الحرام ، وحينما تقبيل الحجر الاسود والاستلام ،  
وحينما سمي بين غايتين ، وتقليد ومحاكاة للأم  
الحنون ، حتى في تؤدتها ووقارها ، وفي جريها  
وهرولتها ، ثم قصد ( منى ) في يوم معين هو يوم  
التروية ، ثم قصد الى ( عرفات ) ووقوف بساحتها  
وعرصاتها ، ودعاء وابتهاال ، ثم بيتوته في المزدلفة ،  
وعودة الى ( منى ) وحلق ونحر ، اقتداء لسنة  
ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

واوضح ملامح هذا الحب والتقليد رمي الجمرات ، الذي  
ليس الا تمثيلا لما صدر عن الخليل ، وفي تقليد اعمال المحبين تأثير  
فريب في انتقال عدوى الحب ، واتصال بالمركز الكهربائي الذي  
يجري منه التيار ، ووسيلة الى جلب رحمة الله وشمول عنايته ،  
وليس لمن ذاق حلاوة الحب منظر الذن من هذا المنظر ، الذي يجتمع  
فيه المحبون الطائعون لتمثيل هذه القصة التي حدثت قبل آلاف  
من السنين ، ولكن الله افاض عليها الخلود ، وطلب من جميع

المعين المخلصين اعادتها وتمثيلها ، اخزاء للشيطان ، وتقوية  
للايمان ، واقتداءً بغليل الرحمن .

قصة ابراهيم في القرآن

- وصلتها بالبلد الامين :

ولد ابراهيم في بيت سادن من أعظم سدنة  
البلد ، ينحت الاصنام ويبيعها ، ويقوم على الهيكل  
الكبير ، ويتصل به عن طريق العقيدة ، وعن طريق  
الحرفة ، وما أعظم المشكلة ، وما أعقد العقدة ، اذا  
التقت العقيدة بالحرفة ، واجتمعت العاطفة الدينية  
مع المصلحة المالية ، ولا شيء في هذا الجو القاتم  
يثير الايمان والحنان ، ويبعث على الثورة على هذه  
الخرافة الوثنية ، ولكن قلب سليم هُيئ للنبوة ،  
وأعد لتكوين العالم الجديد ، « ولقد آتينا ابراهيم  
رشده من قبل ، وكنّا به عالمين (٢٧) » انه يبدأ ثورته  
بمرحلة ربما لا تصل اليها ، ولا تتناولها أعظم  
ثورة ، انها مرحلة الحياة المنزلية ، ومرحلة البيت

---

٢٧ - الآية ( ٥١ ) من سورة الانبياء .

الذي ولد فيه الانسان وفرض عليه أن يعيش فيه ،  
ويقع كل ما يحكيه القرآن في اسلوبه المعجز المبين من  
تعطيم ابراهيم للاصنام ، وغضب عبادهما وحيوتهم  
وعيتهم ، وانتقامهم من الفتى الثائر ، واشتعال  
النار وتحولها بردا وسلاما على ابراهيم ، ومناظرته  
البليغة ، أمام الملك الجبار ( ٢٨ ) .

وتنتهي هذه الثورة الى ان يضيق عليه البلد ،  
ويغضب عليه المجتمع ، وتطارده الحكومة ، فلا يحفل  
بكل ذلك ولا يحسب له حسابا ، كأنه شيء كان منه  
على ميعاد ، وكأنه نتيجة طبيعية قد توقعها ، فيخرج  
من بلده قريير العين ، رضي النفس ، اذ نجا برأس  
ماله وهو الايمان ، فيهيم في أرض الله ، وهو فريد لا  
يعرف له ثانيا ، والبلاد كلها نسخة واحدة من  
الوثنية والخرافة ، وعبادة الاوثان والشهوات حتى  
يهبط مصر ، فيكون هدف الامتحان والامتهان ،  
وينجو بصاحبته التي يطمع فيها الملك ، فيفلتان من

٢٨ - اقرا الآيات ( ٥١ حتى ٧٠ ) من سورة الانبياء .

يده ، ويأويان الى أرض الشام ، فيفرس فيها الفرس  
الكريم ، ويلقي فيها عصا التسيار ، ويقسوم فيها  
بدعوته الى رفض الاوثان ، والى عبادة الله وحده .

وتطيب له الإقامة في الشام حيث يتوفر الخصب  
ويتسع الرزق ، ويتجلى جمال الطبيعة ، فلا يلبث ان  
يؤمر بالتوجه الى ارض لا تقابل أرض الشام في الخصب  
والماء ، و ابراهيم لا يعترف لنفسه حقا ، ولا يرتبط  
بأرض أو وطن ، انما هو طوع اشارة ورهن أمر ،  
يعتبر العالم بلده والسلالة البشرية أسرته ، يؤمر  
بأن ينتقل مع زوجته ( هاجر ) ومولودها الصغير  
الرضيع .

وهنا في واد ضيق ، أحاطت به الجبال الجرداء  
من كل جانب ، وقسا فيه الجو ، وفقد الماء ، وغاب  
الأنيس ، وأوحش المكان ، يؤمر بترك زوجته المرأة  
الضعيفة العاجزة ، والمولود الصغير ، توكلأ على الله ،  
وامتثالا لامره ، واستسلاما لقضائه ، فلا جزع ولا  
فزع ، ولا اشفاق ولا سذر ، ولا سامة ولا ضجر ،

ولا خَوَر في المزيمة ولا ريبة في الوعد ، تمرد على  
التجارب ، ومعاكسة للطبيعة ، وانقطاع عن الاسباب ،  
وايمان بالغيب ، وثقة بالله ، حين تسوء الظنون  
وتزل الاقدام .

ويعرض المحذور والامر الواقع ، فيغلب على  
الطفل العطر ، ويشتد بالأُم الظمأ ، ولا مطمع  
هناك في ثَماد (٢٩) تروي غلتهما ، وهنا تجيش في  
المرأة عاطفة الامومة والعنان ، والاشفاق على المولود  
الصفير ، فتخرج باحثة عن الماء ، أو عن سيارة تحمل  
الماء ، وتعدو مضطربة والهة بين جبلين ، يغلب  
عليها الحنين والاشفاق على الولد ، فترجع لتطمئن  
الى وجوده وحياته ، يغلب عليها الخوف على الحياة ،  
فتعدو مسرعة تبحث عن ماء ، أو عن أثر انسان ،  
وهي بين اضطراب توحيه الطبيعة ، وسكينة يوحىها  
الايمان والثقة ، وتعرف - وهي زوج نبيّ وأم  
نبيّ - أن السعث عن الاسباب لا ينافي الايمان والثقة

٢٩ - الثمد : الماء القليل يتجمع في الشتاء ، وينضب في الصيف ،  
أو الحفرة يجمع فيها ماء المطر ، جمعه ، ثَماد .

بالله ، فهي مضطربة في غير يأس ، ومؤمنة  
في غير تعطل وتواكل ، منظر لم تشهد  
السماء مثله ، وجاشت الرحمة الالهية ، وتفجّر الماء  
بطريق معجز ، فكان ماء خالدا مباركا لا ينضب ولا  
يفيض ، قد وسع الخلق ، ووسع الاجيال ، وكان  
ماء لكل عصر ، ولكل أمة ، فيه غذاء وشفاء ، وفيه  
بركة وأجر .

وخلّد الله هذه الحركة الاضطرارية التي ظهرت من امارة  
مؤمنة مغلصة ، فجعلها حركة اختيارية ، يكلف بها اعظم العقلاء ،  
واعظم الفلاسفة والنبهاء ، واعظم الملوك والعظماء في كل عصر ،  
وفي كل جيل ، فلا يتم نصحهم الا بالسمي بين هذين الجبلين اللذين  
هما ميقات كل معب ، وضاية كل مطيع ، والسمي خير ممثل  
لموقف المسلم في هذا العالم ، فهو يجمع بين العقل والعاطفة ، وبين  
العس والعقيدة ، انه يستعين بالعقل ويستغلمه في مصالح حياته ،  
ولكنه ينقاد احيانا للعاطفة ، التي هي اعمق من العقل ، انه  
يعيش في عالم قد حنّف بالشهوات ، ومثلء بالزخارف والمظاهر ،  
لكنه يمر بينها كالساعي بين الصفا والمروة ، لا ينعرج على شيء  
ولا يتقيد بشيء ، انما خايته وهمه ما يستقبله ، يعتبر حياته

اشواطاً محدودة ، يقطعها اطاعة لربه واقتراناً بسلفه ، لا يمنعه  
ايمانه عن البعث والسعي ، ولا يمنعه سميه عن التوكل على الله  
والثقة به ، حركة قيمتها وروحها ورسالتها « العب »  
و « الانقياد » .

ويكبر الولد ، ويبلغ السن التي تقوى فيها  
عاطفة الابوة ، فيرافق والده ويسعى معه ، ويشعر  
الوالد العظيم الذي قويت فيه العاطفة الانسانية ،  
وطبع على الحب والحنان بميل شديد الى ولده وقلده  
كبدنه ، وهنا المشكلة ، فان قلبه هو القلب السليم  
الذي خص بالمحبة الالهية ، انه ليس كقلب كل  
انسان ، انه قلب « خليل الرحمن » ، والمحبة لا تعرف  
شريكاً ، ولا تحتل عديلاً ، فكيف وهي المحبة الالهية ،  
وهنا يتلقى ابراهيم اشارة بذبح الولد الحبيب ،  
ورؤيا الانبياء وحي ، وتتكرر الاشارة ، فعرف انه  
امر يراد ، وأنه جد ، فيختبر ولده ، لانه شيء  
لا يتم الا بموافقته وجلادته ، فيجد عنده غاية البر ،  
وغاية النجابة وغاية التضحية والتسليم للامر  
الالهي ، وهو نبي ابن نبي ، وجد نبي : « قال :

يا بني ابي ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ، قال : يا ابيت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين (٣٠) » .

وهنا يقع ما لا يصدق العقل ، فيخرج الوالد مع ولده ، النجيب الحبيب ، ذلك ليذبح ولده ، وهذا يطيع ربه ووالده ، وكلاهما مطيع للرب مستسلم لأمره ، وعرض لهما الشيطان - ذلك الذي تكفل بالضلال ، ومنع الانسان من السعادة - فحاول صرفهما عن التنفيذ ، وزين لهما العصيان ، وورغبهما في الحياة ، فاستعصيا عليه ، وابيا الا ان ينفذا امر الله ، وهنا يقع ما تضطرب له الملائكة ، ويفزع له الانس والجن ، فينتصب الولد للذبح ، ويضع الوالد السكين على حلقومه يحاول جهده الذبح ، ووقع ما اراده الله ، فلم يكن المقصود ذبح اسماعيل ، انما كان المقصود ذبح العبد الذي ينازع الحب الالهي ويقاسمه ، وقد ذبح بوضع السكين على الحلقوم ، انما ولد اسماعيل ليعيش ويزدهر ويتنسل ، ويولد في ذريته آخر الانبياء وسيدهم ، فكيف يذبح وكيف يموت ، قبل ان يتحقق ما اراده الله ؟ .

وفدى الله اسماعيل بكبش من الجنة يذبح مكانه ، وجعلها سنة ياقية في عقبه واتباعه ، يذبحون

٣٠ - الآية ( ١٠٢ ) من سورة الصافات .

أيام النحر ويجددون ذكرى هذا الذبح العظيم ،  
ويضحون في سبيل الله ما يشترونه بحرّ أموالهم •

« فلما أسلما وتلّاه للجبين • وناديناه أن  
يا ابراهيم • قد صدقت الرؤيا ، انّا كذلك نجزي  
المحسنين • ان هذا لهو البلاء المبين • وفديناه بذبح  
عظيم • وتركنا عليه في الآخريّن • سلام على  
ابراهيم (٣١) » •

وخلّد الله تمثيل قصة الشيطان مع ابراهيم ، وجعل رجمه  
بالعصى في الامكنة التي اعترض فيها لابراهيم ينهائه ويصرفه ،  
عملا يتكرر كل عام ، وقصة تمثل في افضل الايام اثاره لبغض  
الشيطان ، واظهارا للتمرد عليه والعصيان ، وهي حركة يشعر  
فيها المؤمن ببلّة وحياة وعاطفة اذا صبح فيها الايمان ، واستقام  
فيه الفهم ، وكمل الانقياد للاوامر ، ويعرف انه في صراع دائم  
مع قوى الشر ، ومعركة مع ابليس وجنوده ، وانه ليس له نصيب  
منه الا الرجم والهوان •

ويدور الزمان دورته ، واسماعيل الصغير شاب

---

٣١ - الآيات (١٠٣ حتى ١٠٩) من سورة الصافات •

قوي ، أكرمه الله بالنبوة والسيادة ، وقد أثمرت  
دعوة ابراهيم وتوسعت وانتشرت ، وكان لا بد لها  
من مركز تأوي اليه وتعتمد عليه ، وكثرت القصور  
للملوك والمعابد للطاغوت ، يطاع فيها الهوى ،  
ويعبد فيها الشيطان ، وليس لله على أرضه مسجد  
يخلص لعبادته ، ويظهر لقاصديه وعابديه ، فيؤمر  
ابراهيم بعد ما قام الدين على قدمه وساقه ، وظهرت  
نواة الأمة المسلمة الحنيفة لبناء بيت الله تعالى ،  
يكون مثابة للناس وأمنا ، ومعيداً لله وحده ، فيتعاون  
الوالد والولد في بناء هذا البيت البسيط المتواضع  
في مظهره ، العميق الرقيق في عظمته ، فينقلان  
الحجارة ، ويرفعان البناء : « واذ يرفع ابراهيم  
القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا  
انك أنت السميع العليم • ربنا واجعلنا مسلمين لك  
ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ،  
وتب علينا ، انك أنت التواب الرحيم ( ٣٢ ) » •

٣٢ - الآيتان ( ١٢٧ - ١٢٨ ) من سورة البقرة •

وقام البيت على أساس من ايمان واخلاص ، ليس  
 لهما نظير في الدنيا ، وتقبّله الله بقبول حسن ،  
 وقضى ببقائه ، وكساه الجمال والجلال ، وعطف  
 اليه القلوب والنفوس ، وجعله مهوى الافئدة  
 ومغناطيس القلوب ، يوّد الناس لو يسعون اليه على  
 رؤوسهم ، ويصلون اليه ببذل مُهجم ونفوسهم ،  
 مع تجرّده عن كل ما يستهوي القلوب ، ويستلقت  
 الانظار ، ووقوعه في بلد بعيد عن جمال الطبيعة  
 وبهرج المدنية • ولما كان ذلك نودي ابراهيم:  
 « واذن في الناس بالحجّ يأتوك رجالا وعلى كل  
 ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ،  
 ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من  
 بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير •  
 ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا  
 بالبيت العتيق ( ٣٣ ) » •

٣٣ - الآيات ( ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ ) من سورة الحج •

كان العالم في عصر ابراهيم عليه السلام خاضعا للأسباب ، واعتمد الناس عليها اعتمادا زائدا ، حتى أصبحوا يعتقدون أنها مؤثرة مستقلة قائمة بذاتها ، وحتى أصبحت أربابا من دون الله ، وأصبح هذا الخضوع للأسباب وتقديسها والاعتماد عليها وثنية أخرى غير الوثنية التي أغرقوا فيها وغلوا ، من عبادة الاصنام والاولثان ، وكانت حياة ابراهيم ثورة على الوثنيين ، ودعوة الى التوحيد النقي الخالص ، وتحقيقا لقدرة الله الواسعة المحيطة بكل شيء وأنه يخلق الاشياء من عدم ، وأنه يخلق الاسباب ويملكها ، ويفصل الاسباب عن المسببات ، وينتزع عن الاشياء خواصها وطبيعتها ، ويستخرج منها أضدادها ، ويسخرها لما يشاء ومتى يشاء ، أشعل الناس له النيران ، وقالوا : «حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين (٣٤)» ، وكان ابراهيم يؤمن بان النار خاضعة لارادة الله تعالى ، ليس الاحراق لها طبيعة دائمة لا تنفك عنها ، انما هي طبيعة مودعة امانة فيها ، اذا أراد اطلاق لها العنان ، واذا أراد أمسك الزمام ، وحوّلها الى برد وسلام ، فخاضها مؤمنا مطمئنا واثقا ، وهكذا كان : « قلنا : يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم . وارادوا به كيذا فجعلناهم الاخسرين (٣٥) » .

٣٤ - الآية ( ٦٨ ) من سورة الانبياء .

٣٥ - الايتان ( ٦٩ - ٧٠ ) من سورة الانبياء .

واعتقد الناس انه لاحياة الا بالغصب والميرة والماء القزير، فكانوا يرتادون لاسرهم وابنائهم ، ويغتارون لسكنهم ووطنهم اراضي مخصبة تكثر فيها المياه ، ويتوفر فيها الغصب ، وتسهل فيها التجارة والصناعة ، وقد ثار ابراهيم على هذه العادة المتبعة والعرف الشائع ، والاعتماد على الاسباب ، فاختر لاسرته الصغيرة - المكونة من ام وابن - واديا غير ذي زرع ، لا زراعة فيه ولا تجارة ، منقطعا عن العالم ومراكزه التجارية ، ومواضع الرخاء والثراء ، ودعا الله تعالى أن يوسع لهم الرزق ويعطف اليهم القلوب ، ويجبي اليهم الثمرات من غير سبب وطريق معروف ، فقال : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا (٣٦) » .

واجاب الله دعاءه ، فضمن لهم الرزق والامن ، وجعل بلدهم معطا للخيرات والثمرات : « او لم نمكن لهم حرما آمنا يجبي اليه ثمرات كل شيء ، رزقا من لدنا ، ولكن اكثرهم لايعلمون (٣٧) » « فليعبدوا رب هذا البيت . الذي اطعمهم من

٣٦ - الآية ( ٣٧ ) من سورة ابراهيم .

٣٧ - الآية ( ٥٧ ) من سورة القصص .

جوع وامنهم من خوف (٣٨) . تركهم في ارض لا اثر فيها ماء يروي الغلثة ، ويببل العلقوم ، فاذا همام ينفور من الرمال ، ويفيض من غير انقطاع ، يشربه الناس في سقاء ، ويعملونه الى بلدهم . ويترك اهله في بلد كفر لا انيس فيه ، فاذا به ينصبح مكانا يؤمه الناس من كل صوب ، ويأتون اليه من كل فج عميق .

وهكذا كانت حياة ابراهيم تعديا للمادية المسرفة الشائعة في عصره ، وعبادة الاسباب واتخاذها اربابا من دون الله ، ومثالا للايمان بالله وقدرته المطلقة ، وأن ارادته فوق كل شيء ، وهكذا كانت سنة الله معه ، ينخضع له الاسباب ويخلق له ما تعار فيه الالباب .

الحج تغليد لخصائص ابراهيم ومآثره

وتجديس لدعوته وتعاليمه :

والحج ، ومناسكه وما يحيط به من ذكريات وحوادث ، وما يتلبس به الحاج من التجرد عن المظاهر ، وما يأتي به من عمل ونسك ، من احرام ، ووقوف ، وافاضة ، ورجم ، وسمي ، وطواف ، تغليد

٣٨ - الايتان ( ٣ - ٤ ) من سورة قريش

لما اختص به ابراهيم عليه السلام من التوحيد ونفي  
الاسباب ، والتوكل على الله والتفاني في سبيله ،  
وايثار لطاعته ومرضاته ، وتمرد على العادات  
والاعراف ، والمعايير الزائفة والمثل المصطنعة ،  
وتجديد لذلك الايمان القوي ، والحب العميق  
والتضحية الفائقة والايثار الرفيع ، والحج ضامن  
لبقاء هذه المعاني السامية كلها، وهذه القيم الربانية  
كلها ، وبقاء الجامعة الاسلامية الانسانية التي هي  
فوق القوميات والعنصريات والوطنيات المحدودة  
المصطنعة ، ودعوة للناس الى أن يسيروا على نهج  
ابراهيم ويتشبهوا بروحه ، ويقوموا بدعوته في  
كل عصر وفي كل مكان : « ملة ابيكم ابراهيم ، هو  
سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول  
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فاقيموا  
الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله ، هو مولاكم ،  
فنعم المولى ونعم النصير » ( ٢٩ ) .

٢٩ - الآية ( ٧٨ ) من سورة الحج .

## عنوان جديد ، وخط فاصل في كتاب الانسانية :

ان ابراهيم ودعوته وجهاده عنوان جديد ، نير مشرق في كتاب الانسانية وامتدادها ، يتفصل به التاريخ ، وتتوزع به الانسانية بين المعسكرين ، يخلدان مع الزمن ، ويبتدىء به عهد وينتهي به عهد ، وقد جعل الله لابراهيم الامامة الخالدة والكلمة الباقية ، وجعل في ذريته النبوة والولاية ، والوصاية الدينية على العالم للأبد ، وكتب لاسرته ومن دخل داره ، الجهاد للحق ، والوقوف في وجه الباطل الى آخر الابد ، والدعوة الى الله ، وتجديف سفينة البشرية في عواصف هوجاء ، وأمواج عاتية ، والمحافظة على هذا السراج من ان ينطفئ ، وهو العامل البنّاء الوحيد الذي استعمله الله في اسعاد البشرية وعصمها من تخريب العالم ، وتدمير الانسانية ، وسوقها الى الجحيم

عماد الانسانية ، وقيام للناس :

والحج وشهود الموسم ، والتقاء أبناء ملّة

ابراهيم في مكة كل عام ، هو كاف لبقاء هذه الصلة ،  
بين ابراهيم وأنبياءه ، وأبنائه الروحانيين ، وتجديد  
هذه المعاني والعقائد والاهداف التي فيها بقاء هذه  
الملة والانسانية كلها ، لذلك قال الله تعالى : « يجعل  
الله الكعبة البيت المحرام قياما للناس والشهر الحرام  
والهدي والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في  
السموات وما في الارض ، وأن الله بكل شيء  
عليم » (٤٠) .

مركز دائم للهداية والارشاد والاصلاح والجهاد :

وجاء عهد الاسلام ودور الرسالة المحمدية الخالدة ، فأصبح  
هذا البيت مركزا للهداية والارشاد ، والاشعاع الروحي ،  
والغذاء العاطفي ، تقام حوله المناسك ، وتغذّى به العاطفة ،  
وتشعل به مجامر القلوب ، وتشعن به « بطاريتها » الفارغة ،  
ويتلقى منه الرسالة الدينية ، ويجتمع حوله العالم الاسلامي كل  
عام ، يؤدي خراجه من الطاعة ، وضريبته من الحب والانقياد ،  
ويثبت تمسكه بهذا العجل المتين ، ولجوءه الى هذا الركن الركين،

٤٠ - الآية ( ٩٧ ) من سورة المائدة .

ويطوف حوله أعظم العلماء والعقلاء ، والزعماء والعظماء ،  
والملوك والأمراء ، والأغنياء والفقراء ، في وله وهيام ، وفقه  
وحكمة ، يثبتون انهم مجتمعون على تفرق ، متوحدون على تعدد ،  
متركزون على انتشار ، أغنياء على الفقر ، أقوياء على الضعف ،  
ينتشرون في العالم ويسعون في أرزاقهم ومصالحهم ، وينتسبون  
الى أمم وسلالات ، ويختلفون في الحضارات والثقافات ، ويلتقون  
على نقطة واحدة وحول نقطة واحدة ، وحياتهم كلها طواف  
وسعي ، ونسك وعبادة ، وإيمان وعقيدة ، ومقاماتهم كلها منى  
وعرفات ، وأسفار ووقفات ، وانما هم في رحلة دائمة ، وتقدم  
مستمر ، وتعارف متكرر ، حتى يقضوا نحبهم ويلقوا ربهم .

الى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،

ومسجده العظيم :

وكان من الطبيعي بعد ذلك كله أن يعن المسلم لا سيما  
الوافد من مكان بعيد اذا قضى حجه ، وأدى مناسكه ، الى مهجر  
خاتم المرسلين ومثواه الأخير ، ومارز الاسلام ، الى المسجد الذي  
انبثق منه النور ، وانطلقت منه موجة الهداية والعلم ، وقوة  
الاسلام في العالم ، الى المدينة التي آوى اليها الاسلام ، وتمثلت  
فيها فصول التاريخ الاسلامي الاول ، وابتل ترايبها بدموع  
الصحابة رضي الله تعالى عنهم ودمائهم ، فيصلي في المسجد الذي

تُعادل ركعة فيه ألف ركعة في غيره (٤١) ، ويقف في مواقف ،  
وقف فيها الشهداء والصديقون ، والسابقون الاولون ، فيستمد  
منها الصدق والايمان ، والحب والعنان ، والبطولة والشهادة في  
سبيل الاسلام ، ويصلي ويسلم على هذا النبي الذي خرج  
بدعوته وجهاده من الظلمات الى النور ، ومن عبادة العباد الى  
عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، وذاق لأول مرة حلاوة  
الايمان ، وعرف قيمة الانسان .

عرضة سنوية تحفظ على الأمة نقاءها وأصالتها  
وتعصم السدين عن التحريف والفساد الشامل :

والحج عرضة سنوية للملّة ، يرجع اليها الفضل  
في نقائها وأصالتها ، وفي بقاء هذا الدين بعيدا عن  
التحريف والغموض والالتباس ، وفي بقاء هذه الامة  
بعيدة عن الانقطاع عن الاصل والمصدر والاساس ،  
محفوظة من المؤامرات والمغالطات التي وقعت أمم

---

٤١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف  
صلاة فيما سواه : الا المسجد الحرام » ( متفق عليه ) .

كثيرة فريستها في الزمن الماضي ، وعن طريق هذه المؤسسة العظيمة الحكيمة ، تبقى هذه الامة العظيمة الخالدة محتفظة بطبيعتها الابراهيمية ، الولوع الحنون ، المطوف الرؤوف ، الماثرة القوية ، الحنيفة السمحة ، وتتوارثها جيلا بعد جيل ، فكانها القلب الحي القوي الفياض الذي يوزع الدم الى عروق الجسم وشرايينه ، وبها تستعرض هذه الامة مجموعها في صعيد واحد ، فينفي بذلك علماءها وزعماءها تحريف الغالين ، وانتعال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وخرافة المخرفين ، ويردونها الى الاصل الابراهيمى الحنيفى ، والى الشرعة المحمدية ( الصافية ) والى الدين الخالص ، وبها تستطيع هذه الامة أن تحافظ على وحدتها الدينية والعقلية والثقافية ، وتمتصم عن أن تؤثر فيها الاقليمية والمحلية تأثيرا يُفقدھا الوحدة الحنيفية الابراهيمية ، والصبغة الاسلامية المحمدية ، كما كان شأن الديانات السابقة الكثيرة ، والامم الدينية العديدة .

لقد قدر الله لهذه الامة الخالدة أن تعيش في  
بيئات مختلفة وفي أقاليم عديدة ، وتجتاز أدوارا  
كثيرة جدا ، مختلفة جدا ، من حرارة وقوة وجمود  
وخمود ، وعنف وقسوة ، ومصارعة ومقاومة ،  
واغرامات مادية وسياسية ، وتقدم في الحضارة  
والمدينة ، وتوسع في المال والمادة ، وضيق وضنك ،  
وبذخ وترف ، وعسر ويسر ، وشدة ورخاء ،  
وتسلط عدو قاهر وملك جائر ، وكانت الآية في  
حاجة دائمة الى اشغال جذوة الايمان ، واثارة عاطفة  
الحب والحنان ، واعادة الوفاء والولاء في سائر  
الاجزاء والاعضاء ، فجعل الحج ربيما تورق فيه  
أغصان هذه الشجرة الخالدة كل عام ، وتؤتي أكلها  
كل حين باذن ربها ، وتكتسي فيه هذه الشجرة  
العالمية لباسا جديدا قشيبا ، غضا طريا .

وقد سبق شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم  
الدهلوي بما أكرمه الله من فقه دقيق ، وفهم عميق  
لاسرار التشريع ومقاصد الاسلام ، فأشار الى هذه

النكتة في كتابه « حجة الله البالغة » فقال :

« وكما أن الدولة تحتاج الى عرضة بعد كل ملة لتمييز الناصح من الفاش ، والمنقاد من المتمرد ، ليرتفع الصيِّث ، وتعلو الكلمة ، ويتعارف أهلها فيما بينهم ، فكذلك الملة تحتاج الى حج ، لتمييز الموفق من المنافق ، وليظهر دخول الناس في دين الله أفواجا ، ويرى بعضهم بعضا ، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده ، اذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة والتراخي (٤٢) » .

وقال :

« واذا جعل الحج رسما مشهودا نفع عن غوائل الرسوم ، ولا شيء مثله في تذكر الحالة التي كان فيها أئمة الملة والتضيض على الاخذ بها (٤٣) » .

وقال :

« ومنها تحقيق معنى العرضة ، فان لكل دولة أو ملة اجتماعا يتوارده الأقباصي والاداني ، ليعرف فيه بعضهم بعضا ، ويستفيدوا أحكام الملة ، ويعظموا شعائرها .

٤٢ و ٤٣ - حجة الله البالغة ( ج ١ ص ٥٩ - ٦٠ ) .

والحج عرضة المسلمين وظهور شوكتهم، واجتماع جنودهم،  
وتنويه ملتهم ، وهو قوله تعالى :

• « واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا (٤٤) » •

مركز الاشعاع العالمي الخالد :

وقضى الله أن لا يخلو « الحج » في أشد أيام هذه  
الامة وأحلكها من الربانيين المخلصين، ومن الصالحين  
المقبولين ، ومن الدعاة المرشدين ، ومن الداعين  
المبتهلين ، ومن الخاشعين المتيبين ، ومن العلماء  
البراسخين الذين يملأون الجو روحانية وخشوعا ،  
فترق القلوب القاسية ، وتخضع النفوس العاصية ،  
وتفيض العيون الجامدة ، وتلتهب المجامر الخامدة ،  
وتنزل رحمة الله، وتفشى السكينة، ويغزى الشيطان،  
لذلك جاء في الحديث ، أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال : « ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصفر  
ولا أدهر ولا أحقر ولا أغیظ منه في يوم عرفة ، وما  
ذاك الا بما يرى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن

---

٤٤ - المصدر السابق ( ج ٢ ص ٤٢ ) •

الذنوب العظام (٤٥) « • ويتكهرب الجو فيشحن المسلمون - الذين جاؤوا من كل صوب بعيد وفج عميق - (بطارية) قلوبهم الفارغة ، يأخذون زادا من ايمان وحب وحماسة ، وعلم وفقه ، يعيشون عليه في حياتهم الباقية ، ويقاومون به كل ما يواجهونه من اغراء وتسويل ، وتخويف وتزيين ، ويشركون في هذا الزاد اخوانهم المسلمين الذين قد بهم الفقر أو الضعف ، أو المرض أو العدو ، وهكذا يجري هذا التيار الكهربائي الايماني في جسم هذه الامة المنتشرة في الآفاق ، فيتعلم الجاهل ، ويقوى الضعيف ، ويتحمس الخامد ، وتكتسب الامة بذلك قوة جديدة على تأدية رسالتها ، وتستأنف كفاحها من جديد •

مظهر الجامعة الانسانية الاسلامية :

والعج انتصار للقومية الاسلامية على القوميات

٤٥ - رواه مالك مرسلا •

الوطنية والعنصرية واللسانية التي قد يصبح بعض الشعوب الاسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة ، وهو اظهار لشعار هذه القومية ، فتتجرّد جميع الشعوب الاسلامية عن جميع ملابسها وأزيائها الاقليمية التي تميز بعضها عن بعض ويتعصب لها اقوام ، وتظهر كلها في مظهر واحد يسمى (الاحرام) في لغة الدين والفقهاء وفي مصطلح الحج والعمرة ، حاسرة رؤوسها ، ما بين رئيس ومرؤوس ، وصغير وكبير ، وغني وفقير ، وتهتف كلها في لغة واحدة ، ونغمة واحدة : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، وهكذا تتجلى القومية الاسلامية في اللباس والهتاف ، وهما من أوضح ما تجلّت فيه قومية ، وفي وحدة المناسك والغايات التي يقوم بها جميع الافراد والشعوب ويسمى اليها العرب والمعجم ، ويلتقي عليها القاصي والداني ، فكلهم يطوفون حول بيت واحد ، ويسعون بين غايتين مشتركتين : ( الصفا والمروة ) وكلهم يقصدون ( منى ) ، وكلهم

يؤمنون ( عرفات ) ويقفون في موقف واحد ، وكلهم يبيتون في مبيت واحد : « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين (٤٦) » ، ويفيضون افاضة واحدة : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ، واستففروا الله ان الله غفور رحيم (٤٧) » ، وكلهم يقفون أياما في ( منى ) تجمع بينهم أشغال واحدة من نحر وحلق ورمي .

وما دام الحج - والحج فريضة باقية الى يوم القيامة ، ومؤسسة خالدة خلود هذه الامة - فالمسلمون لا تبتلعهم القوميات ، كما ابتلعت أمما كثيرة ، ولا يصبحون ضحيتها ، ولا تكون بلادهم التي يحبونها بسائق الفطرة والعاطفة والعصبية قبله يتوجهون اليها ، وكعبة يحجون اليها ، انما هي قبله واحدة يتوجه اليها الشرقي والغربي ، والمعجمي والعربي ،

٤٦ - الآية ( ١٩٨ ) من سورة البقرة .

٤٧ - الآية ( ١٩٩ ) من سورة البقرة .

إنها هي كعبة واحدة يحج إليها الهندي والافغاني ،  
والمسلم الاوروبي والامريكي : « واذ جعلنا البيت  
مثابة للناس وأمنا ، واتخذوا من مقام ابراهيم  
ابراهيم مصلى (٤٨) » ، ويعن إليها المسلم في أقصى  
الارض ، وينذر لهذه الرحلة النذور ويسمى إليها  
على الرأس والعمين ، ويمتبر ذلك غاية الاوطار  
وأقصى الاماني وأعظم السعادات •

#### ليشهدوا منافع لهم :

وشرع الحج لجميع هذه الفوائد والمنافع التي  
نعلم منها الكثير ، ونجهل منها الكثير ، وربما كان ما  
نجهله ونتمتع به أكثر مما نعرفه ومما نوه به  
حكماء الاسلام ، وأشادوا به في مؤلفاتهم ، فقد قال  
الله تعالى : ( ليشهدوا منافع لهم (٤٩) ) فأطلق المنافع ،  
ونكرها وأبهمها ، ودل هذا التعبير البليغ على

٤٨ - الآية ( ١٢٥ ) من سورة البقرة •

٤٩ - الآية ( ٢٨ ) من سورة الحج •

كثرتها وتنوعها وتجديدها ، في كل زمان وأنها أكثر  
من أن يأتي عليها الاحصاء والاستقصاء (٥٠) .

٥٠ - ان الحج لا شك موسم ، يشهده المسلمون من أفاق  
الأرض ونواحي العالم الاسلامي ، ليشهدوا منافع لهم ،  
فيستطيعون ان يتبادلوا الرأي السديد والفكر الحصيف ،  
ويتبرك بعضهم ببعض ، ويجتمعوا على كلمة واحدة  
ومصلحة راجحة راشدة .

ولكن ليست هذه حكمة الحج الوحيدة ، كما اعتاد  
الكتاب المصريون ان ينوهوا بها ، وليس الحج مؤتمرا  
سياسيا فحسب ، كما يصوره كثير من حملة الاقلام ،  
ورجال السياسة والاجتماع في هذا العصر ، فلو كانت  
هذه هي الحكمة التي شرع لها الحج ، لكان في الحج  
استقرار وسادة جو من الهدوء يساعد على ذلك ، ولكنه  
اضطراب وانتقال من مكان الى مكان ومن نسك الى  
نسك ، ولكانت دعوة مقصورة على العلماء والزعماء ،  
والاذكياء والنبهات ، وعلى الخاصة من المسلمين ، انها لا  
شك ثمرة من ثمرات الحج ، ولكن ليست هي الغاية التي  
شرعت لها هذه الفريضة العظيمة ، وقد فرضت على  
المسلمين ، فقال تعالى : « والله على الناس حج البيت من  
استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غني عن العالمين » =

يجب أن يمثل البلد الامين الحياة الاسلامية  
والمجتمع الاسلامي المثالي في كل زمان :

ولما كان الحج عرضة سنوية للملّة ، يلتقي فيها  
المسلمون على صعيد واحد من العقيدة والماطفة  
والفاية ، في جو ديني ربّاني ، وفي محيط روحي  
ايماني ، يستمدون منه قوة جديدة وروحا جديدة ،  
ويُصحّحون ما وقع في عقيدتهم من انحراف ، وفي  
عاداتهم وشعاراتهم من فساد ، وما اعتراهم من زيغ  
أو وهن بتأثير الحضارات والفلسفات العجمية  
الاجنبية ، وتقليد الشعوب والامم التي تجاورهم ،  
أو يعيشون فيها ، ويستطيعون أن يردّوا كل شيء  
الى أصله ، وأن يستقوا الدين من منابعه الصافية  
الأصيلة ؛ وجب بحكم العقل والمنطق ، وبحكم روح  
الاسلام وحكمة الحج ، أن يظل البلد الامين الذي

---

= وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ملك زادا  
وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه أن يموت  
يهوديا أو نصرانيا ، ، ولكن له وضع غير هذا الوضع ،  
ومكان غير هذا المكان القاحل النائي .

يقع فيه الحج ، ويدور حوله أمينا للحياة الاسلامية  
الصافية الاصيلة ، يصور الحياة الاسلامية بجميع  
جوانبها ومزاياها ومظاهرها، حتى يلمسها ويتذوقها  
كل وارد اليه مهما قصرت اقامته وقلَّت معرفته ،  
لأن الله قد قضى أن يكون هذا البلد مركز الحج الى  
آخر الزمان ، ومثابة للمسلمين من جميع أنحاء  
العالم في كل سنة ، يَفِدُون اليه ، وهم مؤمنون بحق  
بأنهم يقصدون بلدا هو معدن الطهر ، ومولد الدين  
وعاصمة الاسلام الروحية ، وكل ما يشاهد ويسمع  
في جوانبه هو حجة للمسلم الغريب الذي يعيش  
بعيدا عن مهد الاسلام ، وليس بعد عمل أهل مكة  
والمدينة حجة عند عامة المسلمين « وما وراء عبّادان  
قرية » .

وهذه الطبيعة البشرية التي لا نستطيع أن  
نتغلّب عليها بمنطق أو دليل ، أو خطابة أو بلاغة ،  
وهو الاحتجاج بعمل أهل المركز زعيم لدين أو  
حضارة ، وهو العرف الذي جرى في مجال اللفّة

والآداب ، والحضارة والفقہ ، فكانت لغة قریش  
ثم لغة البادية العربية ، هي الحجة في اللغة العربية ،  
ومنهج كلامها ولهجاتها ، وكان عمل أهل المدينة  
حجة في مذهب كبير من المذاهب النقية الإسلامية (٥١) ،  
وظلَّ عمل أهل قرطبة حجة عند كثير من فقهاء  
المغرب عندما كانت في أوجها العلمي الثقافي ، وكانت  
مجمع العلماء والقضاة ، واحتجَّ الناس قديما  
وحديثا بعادات عاصمة البلاد ومركزها الحضاري ،  
وتنافس الناس في تقليدها ، ورأوا فيها المثل الكامل ،  
والقدوة في الحضارة والأناقة والظرف ، ودعاة  
الإسلام وزعماء الإصلاح يلقون صعوبة ومحنة ،  
إذا احتجَّ الحجاج بما قد يشاهدونه ويسمعونه  
في مركز الإسلام ومهبط الوحي ؛ مما لا يتفق مع  
أحكام الشريعة الإسلامية أو آدابها ، ويصعب  
إزالتهم عن ذلك (٥٢) » .

٥١ - كالمذهب المالكي .

٥٢ - مقتبس من حديث القاه المؤلف في المؤتمر الإسلامي الذي  
عقدته رابطة العالم الإسلامي في مكة سنة ١٣٨٤ هـ .

يجب أن يبقى « البلد الأمين » محتفظا بطراز  
خاص ، والعج بروح الجهاد والتكشف :

وجانب أدق من هذا ، وهو أن يبقى هذا البلد  
الأمين - على مرّ العصور والأجيال ، ورغم تطورات  
المدنية ومرافق الحياة في العالم - محافظا على شيء  
من البساطة والطبيعة ، وعلى شيء من التكشف ،  
ويتذكّر فيه الواقدون من أنحاء العالم ، الجو  
الذي كان المسلمون الأولون يقضون فيه مناسكهم ،  
ويشعرون بشعورهم ، أو قريب من شعورهم ،  
ويشعرون بانتقال من عالم الى عالم ، ومن جو  
الى جو ، ومن حياة الى حياة ، فانّ هذا الشعور يحدث  
في النفوس تخليا عن الماضي ، واستعدادا لتلقّي  
شيء جديد ، وفرحة روحية لا يشعرون بها في  
مكانهم ، أما اذا بقي البيت وحده ، والحرم وحده  
على قديمهما ، وتغير كل شيء حولهما ، وأصبح  
البلد الأمين وما جاوره من البقاع قطعة من أوروبا  
أو أمريكا ، وحلت المدنية الغربية بخيراتها

وشروورها ، وبأصولها وفضولها ، وأصبح الحاج  
الذي وصفه لسان الشرع « بالشعث التفل » يتقلب  
في أعطاف المدنية والنعمومة ، وينتقل من راحة الى  
راحة ، ومن تنعم الى تنعم ، ومن حديث الى أحدث ،  
فانه لا يشعر بشيء جديد قوي يحدث في مشاعره  
القلابا ، ويشعنه شحنا روحيا |

ولذلك اعتبر الحج صنو الجهاد ، وقد روى  
البخاري عن عائشة مرفوعا : « أفضل الجهاد وأجمله  
حج مبرور » وعنهما قالت ، « قلت يا رسول الله : ترى  
الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ فقال : لكن أفضل  
الجهاد حج مبرور » ، وكان عمر رضي الله تعالى  
عنه يقول : « شدوا الرحال في الحج ، فانه أحد  
الجهادين » . وإذا تطورت مكة تطورا جذريا ،  
واقتبست من الحضارة الغربية جميع مرافقها  
ووسائلها ، وتوفرت للحج جميع أسباب الراحة  
والتنعم التي لا توجد الا في العواصم الغربية الكبرى ،  
شعر الحجاج بشيء من الفراغ الروحي ، وبشيء

من الجفاف ، وبانحطاط ملموس في فوائد الحج ،  
وأثاره في النفس والحياة .

التشريعات الحكيمة لزيادة فائدة الحج ،

وتقوية أثره في النفس والحياة :

وقد هيا الوحي الالهي والتشريع السماوي للحج  
جوا يثير الجِدَّ والقصد ، وينبئ النفس والفكر ،  
ويحوطه بسياج من العبادة والروحانية والقدسية ،  
فانه كان في أكثر الاحيان رحلة طويلة ، وانتقالا  
من بلد الى بلد يمر فيه الحاج ببقاع مختلفة ، وأجواء  
متنوعة ، وملاذئ وملاه ، وشواغل وصوارف قد  
تقصر فيها المدة وقد تطول ، ويدخل في بلد جديد ،  
ويختلط بأقوام وطبقات كثيرة ، ويخرج النساء مع  
الرجال ، وفيهم الشيوخ والشباب ، وقد تجتمع  
أفراد الأسرة أحيانا ، ويكون الرجل مع زوجته وأهل  
بيته ، وكل ذلك خليق بأن يُفقد الحج روعته  
ومهابته وقدسَه ، وروح العبادة والجهاد فيه ، وتصبح  
هذه الرحلة كأي رحلة عادية طبيعية ، أو الإقامة في

مكة ، والتنقل في مواضع المناسك كأى اقامة في أى بلد .

لذلك أضيف التشريع على الحج لونا لا يزول ، لونا من الجدوية والقدس ، وحاطه بأسوار وخنادق عديدة ، جعلته بعيدا عن الغفلة والذهول ، والعبث والفضول ، وله في ذلك تشريعات دقيقة حكيمة ، كانت كفيلا بأن يبقى الحج عبادة عميقة الأثر ، في النفس والحياة ، وركنا من أركان الإصلاح والتربية ، ووسيلة قوية للتقرب إلى الله .

منها : أنه جعل ركنا من أركان الإسلام الأربعة ، وفريضة على من استوفى شروطها ، لا يقبل الله عنها صرفا ولا عدلا ، فقال تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (٥٣) » ، وقد روى الترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه رفعه : « من ملك راحلة وزادا

---

٥٣ - الآية ( ٩٧ ) من سورة آل عمران .

يبلغه الى بيت الله الحرام ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ، وذلك أن الله تعالى يقول : « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بُني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا (٥٤) » .

وقد نوه لسان النبوة بفضل الحج ومكانته عند الله ، وأكثر من بيان فضائله ، لأنها هي التي تثير في النفس الشوق والرغبة ، وتبعث الايمان والاحتساب ، فلا قيمة لعمل أو عبادة حتى تقترن بهما ويكونان هما الباعثين على اتيانها ، فقد روى الستة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا : « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » ، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج لله فلم يرفث ، ولم يفسق ،

---

٥٤ - متفق عليه .

رجع كيوم ولدته أمه (٥٥) » وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة ، وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس يدنو به (٥٦) » وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة (٥٧) » وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : « أيُّ العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور (٥٨) » .

٥٥ - للستة ، الا ابا داود .

٥٦ - للنسائي ، والترمذي بلفظه .

٥٧ - رواه مسلم .

٥٨ - متفق عليه .

ومن هذه التشريعات الدقيقة الحكيمة «المواقيت» التي تُنبئ في الحج شعورا جديدا ، ويقظة فكرية روحية ، فيعرف أنه دنا من الحضرة الملوكية ، ودخل في حدودها المحمية المقدسة ، فلولا الواقيت لاقتحم الحجاج الحضرة المقدسة ، وهجموا عليها كما يهجم الجهال الأجلاف على حضرة الملوك وعتبة السلاطين، فيقابلون باستنكار وجفاء، وطردهاهاة، وقد أحسن شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي بيان حكمة الواقيت ، وسر تشريعها وتعيينها للقياسيين من جهات مختلفة ، قال .

«الأصل في الواقيت ، أنه لما كان الاتيان الى مكة شعئا تفلأ ، تاركأ لفلواء نفسه مطلوبأ ، وكان في تكليف الانسان أن يحرم من بلده حرج ظاهر ، فان منهم من يكون قطره على مسيرة شهر وشهرين وأكثر، وجب أن يُخصّص أمكنة معلومة حول مكة يجرمون منها ، ولا يؤخرون الاحرام بعدها ، ولا بد أن تكون تلك المواضع ظاهرة مشهورة ؛ ولا تخفى على أحد ،

وعليها مرور أهل الآفاق ، فاستقرأ ذلك ، وحكم  
بهذه المواضع ، واختار لأهل المدينة أبعد المواقيت ،  
لأنها مهبط الوحي ومأرز الايمان ودار الهجرة ،  
وأول قرية آمنت بالله ورسوله ، فأهلها أحق بأن  
يبالغوا في اعلام كلمة الله ، وان يخصصوا بزيادة طاعة  
الله ، وأيضا فهي أقرب الاقطار التي آمنت في زمان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخلصت ايمانها  
بخلاف جوثى والطائف واليمامة وغيرها ، فلا  
خرج عليها (٥٩) .

ومنها : « الاحرام » الذي ينبه في الحاج الشمور  
والانتباه ، ويكون حارسا له عن الغفلة والذهول ،  
وينبئه الى أنه مقبل على أمر عظيم ، وأنه قاصد  
للحضرة الملوكية ، والى أنه تجرد مما كان فيه من  
مظاهر جوفاء وشعارات زائفة ، وأبته مصطنعة ،  
فيصير هذا الاحرام كالتحرمة للصلاة تنقله من جو  
الى جو ، ومن جرية وانطلاق الى تقيد وارتباط ،

٥٩ - حجة الله البالغة ( ج ٢ ، ص ٤٤ ) .

يقول شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي  
رحمة الله عليه :

« اعلم ان الاحرام في الحج والعمرة بمنزلة  
التكبير في الصلاة ، فيه تصوير الاخلاص والتعظيم  
وضبط عزيمة الحج بفعل ظاهر ، وفيه جعل النفس  
متدلة خاشعة لله بترك المسلاذ والعادات المألوفة  
وانواع التجميل ، وفيه تحقيق معاناة التعب والتشعث  
والتغير لله (٦٠) » .

وكذلك شرع للخروج من الاحرام والتحرر من  
قيوده واحكامه بطريقة ظاهرة ، تنبئ في النفس  
الشعور ، ولا يصعب اتيانها ، فلا يخرج الحاج من  
احرامه فلتة او مفاجأة ويتمتع بالمباحات ، الا بعمل  
ظاهر ، وقصد و ارادة ، كما لا يخرج من صلاته الا  
بالتسليم ، وهو الحلق ، يقول شيخ الاسلام أحمد  
ابن عبد الرحيم الدهلوي .

٦٠ - حجة الله البالغة ( ج ٢ ، ص ٤٤ ) .

« السر في الحلق أنه تعيين طريق للخروج من الاحرام بفعل لا ينافي الوقار ، فلو تركهم وأنفسهم لذهب كل مذهبا ، وأيضا ففيه تحقيق انقضاء التشعث والتغير بالوجه الأتم ، ومثله كمثله السلام من الصلاة (٦١) » .

ومنها : « التلبية » التي حث الشرع على الاكثار منها ، واستحسن النبي صلى الله عليه وسلم رفع الصوت بها وتكثيرها ، وقد سئل أي الحج أفضل ، قال : « العج والثج » (٦٢) .

وفي التلبية تأثير غريب في تنبيه النفس وإيقاظها لمقاصد الحج ، وشحنها بالايمان والعنان ، والاطراح على عتبة الرحمن ، وبها يسري التيار الايماني الروحي في جسم الحاج ومشاعره واعصابه ، كما يسري التيار الكهربائي في الأسلاك ، وينعده الحاج للاستفادة من هذا الركن العظيم ، الذي قد يكون قد هجم عليه من غير استعداد ، أو من غير تفقه ووعي ، فاذا قال :

٦١ - حجة الله البالغة ( ج ٢ ، ص ٤٥ ) .

٦٢ - رواه ابن ماجه في سننه ، عن ابن عمر رضي الله عنهما .

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان العمد  
والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » ، تمثل له العج ومقاصده  
العظيمة وروحه ، وثار في الأشواق ، وقاضت كأس الحب  
والحنان ، والتهبت شعلة التوحيد في عروقه ودمه ، واتصل  
بإبراهيم الخليل ، الموحد العنيف ، واتصل بمحمد صلى الله عليه  
وسلم ، والداعين بدعوته اتصالا فكريا روحيا ، واندمج في  
حزبهم .

وقد جمع الله للعج حرمتين ، حرمة الزمان  
والمكان ، ليقوى الشعور بحرمة هذا الركن العظيم ،  
وجلاله وروعته ، والشعور بالمسؤولية ، وليكون  
الحاج في جميع تنقلاته وحركاته وسكناته مرهف  
الحس حاضر الفكر ، لا يذهل لحظة عن الجو  
الروحاني الذي يحيط به .

فقال تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر  
شهرا في كتاب الله ، يوم خلق السموات والارض ،  
منها أربعة حُرُم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا

فيهنّ أنفسكم (٦٣) » . وقال : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل : قتال فيه كبير (٦٤) » ، وقد روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، ذو الحجة ، المعرم ، ورجب مضر ، الذي بين جمادى وشعبان » .

وأما حرمة المكان ، فقد جاء في القرآن : « انما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة الذي حرّمها ، وله كل شيء » ، وأمرت أن أكون من المسلمين (٦٥) » وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ( فتح مكة ) : « لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم

٦٣ - الآية ( ٣٦ ) من سورة التوبة .

٦٤ - الآية ( ٢١٧ ) من سورة البقرة .

٦٥ - الآية ( ٩١ ) من سورة النمل .

الفتح - فتح مكة - : « ان هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والارض ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، وانه لم يحلّ فيه القتال لاحد قبلي ، ولم يحلّ لي الا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة ، لا يُعضد شوكة ، ولا ينفّر صيده ، ولا يلتقط لقطته ، الا من عرفها ، ولا يختلي خلاها (٦٦) » وقال العباس : يا رسول الله الا الاذخر ، فانه لقينهم وليبوتهم ، فقال : . الا الاذخر » .

وقد كانت المعصية في الحرم أغلظ وأشد ، وقد استدل بعض العلماء على ان ارادة المعصية فيه معصية ، بخلاف غيره من البقاع ، بقوله تعالى : «ومن يُرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٦٧)» . قال ابن كثير : وهذا من خصوصية الحرم ، أنه يعاقب البادئ فيه الشر اذا كان عازما عليه ، وان لم يوقعه .

٦٦ - الغلا : النبات الرطب . واحتلاؤه : قطعه .

٦٧ - الآية ( ٢٥ ) من سورة الحج .

وقد ضم الى ذلك كله حرمة الاحرام ، وشرع له  
أحكاما وآدابا خاصة ، منها : حرمة الصيد في حالة  
الاحرام ، فقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا  
لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم (٦٨) » وقال : « أحل  
لكم صيد البحر ، وطعامه متاعا لكم وللسيارة ،  
وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا الله  
الذي اليه تحشرون » (٦٩) .

يقول شيخ الاسلام الدهلوي رحمة الله عليه :

« وانما شرع أن يجتنب المحرم هذه الاشياء  
تحقيقا للتذلل وترك الزينة والتشعث ، وتنويها  
لاستشعار خوف الله وتعظيمه ، ومواخذة نفسه ، أن  
لا تسترسل في هواها ، وانما الصيد تله وتوسع (٧٠) » .

---

٦٨ - الآية ( ٩٥ ) من سورة المائدة .

٦٩ - الآية ( ٩٦ ) من سورة المائدة واقرا تفسير الآيتين

والاحكام الفقهية المتفرعة منهما ، وما في ذلك من خلاف ،

وتفصيل في كتب التفسير واحكام القرآن .

٧٠ - حجة الله البالغة ( ج ٢ ص ٤٤ ) .

ولما كان الحج سفرا طويلا في غالب الاحيان ،  
وقد قال الله تعالى : « وأذن في الناس بالحج يأتوك  
رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٧١) » ،  
وانتقالا من حال الى حال ، ويكثر فيه الاختلاط ،  
وتطول الزمالة ، وتتنوع المعاملات ، كان ذلك ماثرا  
لكثير من المحظورات والمغريات والمناقشات ، وكثيرا  
ما تثور النفس ويضيق الصدر ، وينفد الصبر ،  
فيلجأ الحاج الى ما يتحاشى عنه في الوطن والاقامة ،  
والاحوال العادية ، ويتورط في بعض المعاصي  
والاخلاق القبيحة ، وما ينافي روح الحج ومقاصده ،  
فجاء النهي عن ذلك بصفة خاصة في الحج ، لان الحج  
مظنة قوية له ، فقال تعالى : « الحج أشهر معلومات (٧٢) » ،

٧١ - الآية ٢٧ من سورة الحج \*

٧٢ - هي شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة ، علقه  
البخاري بصيفة الجزم ، ورواه ابن جرير موصولا ، وهو  
مروي عن اكثر الصحابة وفضلهم التابعين ، وهو مذهب  
الشافعي وأبي حنيفة ، وأحمد بن حنبل ، ( راجع تفسير  
ابن كثير ) \*

فمن فرّضَ فيهن الحج فلا رَفْثَ ولا فسوقَ ، ولا  
جدالَ في الحج (٧٣) وما تفعلوا من خير يعلمه الله ،  
وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولي  
الالباب (٧٤) » .

وقد أسبغت هذه التشريعات ، وهذه الاحكام التي تتصل  
بالقلب والجوارح ، والقصد والعمل ، والزمان والمكان ، على  
الحج لباسا من القدس والطهر ، والتورع والتقشف ، والمراقبة  
لله تعالى ، والحسبة للنفس والجهاد ، لا يشاركه فيه ما يماثله ،  
أو يدخل في موضوعه في الديانات الاخرى وطوائف الامم ، وكانت  
لها آثار عميقة في النفس والاخلاق والحياة ، يتحقق معها قول  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من حجّ الله فلم يرفث ولم  
يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه (٧٥) » .

---

٧٣ - اقرأ تفسير الكلمات وأمثلتها في كتب التفسير والاحكام .

٧٤ - الآية ( ١٩٧ ) من سورة البقرة .

٧٥ - رواه الستة عن أبي هريرة ، الا ابا داود .

## حجة الوداع وقيمتها التربوية والبلاغية :

حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر من الهجرة ، وشهد معه هذا الحج أكثر من مائة ألف من المسلمين ، وهي حجة الوداع (٧٦) .

وقد دللت كل القرائن على أن هذه الحجة كانت مقصودة من الله بهذا التفصيل ، ولم تكن فلتة من الفلتات ، بل جاءت في وقتها المناسب « وكل شيء عنده بمقدار » وكان في تأخيرها إلى هذا الوقت حكمة بالغة ، ومصلحة راجحة ، فقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب وكثر المسلمون ، وقوي الإيمان ، وشبّ الحب ، واستتعدت النفوس للتعلم والاستفادة ، وهفت القلوب ، ورنّت العيون إلى المشاهدة ، والمراقبة ، ودنت ساعة الفراق ، فألجأت الضرورة إلى وداع الأمة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

٧٦ - وتسمى حجة الإسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة التمام .  
( البداية والنهاية والخميس ) .

من المدينة ليحج البيت ، ويلقى المسلمين ، ويعلمهم دينهم ومناسكهم ، ويؤدّي الشهادة ، ويبلغ الأمانة ، ويوصي الوصايا الأخيرة ، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق ، ويمحو آثار الجاهلية ويطمسها ، ويضعها تحت قدميه .

فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة ، وألف درس ، وكانت مدرسة متنقلة ، ومسجدا سيّارا ، وثكنة جوّالة ، يتعلم فيها الجاهل ، ويقتبه الغافل ، وينشط فيها الكسلان ، ويقوى فيها الضعيف ، وكانت سحابة واحدة تغشاهم في الحل والترحال ، هي سحابة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحبه وعطفه ، وتربيته وإشرافه .

وقد كان من آثار نضج المسلمين العقلي ، وقوة حبه ، وشدة تعلقهم بكل ما يصدر عن هذه الشخصية الحبيبة المقدّاة ، أن سجلوا كل دقيقة من دقائق هذه الرحلة ، وكل حادث من حوادثها الصغيرة ، لا يحتفل

بأمثالها في رحلات العظماء والرؤساء ، والملوك  
والامراء ، والعلماء والنبغاء ، وذلك شأن المحب  
الواقق ، والعاشق الصادق ، الذي يرى كل شيء  
لمحبوبه حسنا ، فيتلذذ بذكره ، ويسترسل في حديثه ،  
لا يفادز صغيرة ولا كبيرة الا يخصيها ، ولا دقيقة  
نادرة الا يستقصيها .

يتطيب رسول الله عند احرامه ، فيذكرون من  
باشر هذا التطيب ، ويذكرون نوع هذا الطيب ،  
فيقولون : « ثم طيبته عائشة بيدها بذريعة (٧٧) ،  
وطيب فيه مسك ، حتى يرى ويبص المسك في مفارقه  
ولحيته صلى الله عليه وسلم » ويشعر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم هديه ، فيذكرون تفصيله وتحديده ،  
هل كان في الجانب الايمن أو الايسر ، وكيف سلت  
عنها الدم ، ويذكرون احتجامة - والاحتجام فعل  
طبي طبي لا صلة له بمناسك الحج - فيحددون

---

٧٧ - وقد أفاض الشراح في وصف الذريعة وأنواعها ، وارجع  
الى ذلك في مظانه .

مكانه من الجسم ، وموضعه من الطريق ، فيقولون : « واحتجم بملل » ( وملل موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلا من المدينة ) ويقولون : واحتجم على رأسه بـ « لحي جمل » ( وهو موضع في طريق مكة ) وتهدى له قطعة لحم ، وهي حادثة عادية تتكرر ولا تسترعي الاهتمام ، في عامة الاحوال ، فيذكرونها بالتحديد والتفصيل ، فيقول الراوي : « حتى اذا كانوا بالابواء اهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشي » ويحددون المنازل بين المدينة ومكة ، ويمدون أيامه في السفر ، وذلك في زمان لم يعرف الناس فيه كتابة اليوميات ، وتدوين المذكرات ، ولكن العب يلهم ويخترع ، فيقول الراوي : « ثم نهض الى أن نزل بذي طوى ، فبات بها ليلة الاحد لأربع خلّون من ذي الحجة ، وصلى بها الصبح ، ثم اغتسل من يومه ، ونهض الى مكة » . ولم تفتهم شاردة ولا نادرة في هذه الرحلة التي كثرت فيها الشواغل ، وتمددت فيها المنازل ، واشتد فيها الزحام ، فلم يفتهم أن يقيدوا خروج حية في هذا المشهد

العافل ، وافلاتها من القتل ، فيقول الراوي وهو يذكر ليلة منى : « وخرجت حيّة وأرادوا قتلها فدخلت في جحرها » ويذكرون كبل من كان رديف (٧٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة ، ويذكرون اسم الحلاق ، وكيف قسم شعره ، ومن خصّهم بالشق الايمن ، ومن خصّهم بالشق الايسر ، وهذه كلها تفاصيل ودقائق لم يكن مصدرها الا الحب العميق .

ومن العبث واطاعة الوقت أن يبحث عن نظائرها في رحلات القادة ، وتاريخ المشاهير ، وقد أخذت أمم كثيرة بحياة أنبيائها وسيرهم وأخبارهم ، ومراحل حياتهم ، وضيعوا منها الشيء الكثير ، الذي لا تكمل

---

٧٨ - وقد استوعب صاحب نسيم الرياض أسماء كل من أردفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، فذكر نحو ثمانية وثلاثين رديفاً ، وزاد ابن مندة على هذا العدد .  
راجع كتاب « حجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمراته » للعلامة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي .

حياتهم ولا يتم تاريخهم الا به ، ولم يحافظوا الا على  
النزر اليسير من أخبارهم وأحوالهم ، فجل ما نعرف  
من حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة  
والسلام هي اخبار مدة لا تزيد على خمسين يوما (٧٩) .  
وهناك أصحاب رسالات وديانات في بلاد متمدنة  
عريقة في العلم لم تبق الا أسماؤهم ، ونتف من  
أخبارهم لا تشفي العليل ، ولا تروي الغليل ، ولا  
تقود الاجيال ، ولا تنير السبيل .

### « الحج والزيارة » في الديانات

#### القديمة ، سماتها وفوارقها :

لم تُعرف أمة ولا ديانة من أمم البشر ودياناتهم ،  
الا وعندها أمكنة مقدسة تشد إليها الرحال ، وتحت

---

٧٩ - قد جاء في دائرة المعارف البريطانية ( ج ١٣ ، ص ١٦ -  
١٧ ) في المقال الخاص بالمسيح عليه الصلاة والسلام « ان  
..... فترة حياة المسيح التي وصلت اليها ..... أخبارها  
لا تزيد على خمسين يوما .

فيها المطيِّ ولها طرق وعادات وتقاليد ، وآداب لهذا  
السفر الديني ، « والزيارة المقدسة » وذلك لان هذا  
العمل اجابة لحاكم الطبيعة ، وتلبية لنداء الضمير ،  
فالانسان كما قلنا لم يزل باحثا عن شيء يراه بعينه ،  
ويوجه اليه اشواقه ، ويقضي به حنينه ، ويشبع به  
رغبته الملحة في التعظيم والدنو ، ولم يزل باحثا  
كذلك عن عمل طويل شاق يكفر به عن ذنوبه  
الجسام ، وسقطاته الفاضحة ، ليتغلب به على وخز  
الضمير وتأنيب الحسِّ الديني ولائمة المجتمع ، ولم  
يزل في حاجة الى مشهد ديني عظيم ، يلتقي فيه على  
الاخوة الدينية والعاطفة الروحية ، لذلك لم تغل  
أمة من الامم ، ولا دور من ادوار المدنية من أسفار  
دينية ، ومناسك مشهورة ومشاهد مقدسة يجتمع  
فيها الناس ، ويذبحون الذبائح ، ويقرَّبون القرابين  
لله تعالى ، أو لآلهتهم ومعبوداتهم ، وقد قال الله تعالى :  
« ولكل أمة جعلنا منسكا ، ليذكروا اسم الله على ما  
رزقهم من بهيمة الانعام ، فآلهم اله واحد ، فله

أسلموا و بشر المخبتين (٨٠) » وقال : « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ، فلا ينازعنك في الامر ، و ادع الى ربك ، انك لعلى هدى مستقيم (٨١) ، وقد اكتشفت الآثار و عملية الحفر عن هذه المناسك و المشاهد في المدن البائدة ، و المدن المطمورة ، و تحدث التاريخ عن وجودها ، و عن بعض أخبارها ، و لكن الاهتمام الى حقيقتها و تاريخها ، و الاحكام و الآداب التي تتعلق بها صعب جدا ، فقد لا يرجع الباحث في ذلك ، الا بقياسات و أخبار متقطعة مبتورة ، لا يستطيع أن يكون بها فكرة كاملة ، او صورة واضحة .

و الديانة اليهودية ، ثم المسيحية من أقرب الديانات الينا ، و قد عاشتا زمنا طويلا في عصر التاريخ و العلم ، و عني بهما المؤرخون و المؤلفون ، و لا تزالان ديانتي أمتين كبيرتين نشيطتين في الثقافة و التأليف و السياسة ، و البيت المقدس و ما حوله من

---

٨٠ - الآية ٣٤ من سورة الحج .

٨١ - الآية ٦٧ من سورة الحج .

آثار ومشاهد ملتقى هاتين الديانتين ، ومركزهما  
الروحي الاصيل ، والحج اليه قديم وأصيل عندهما ،  
ولكن لا يزال هذا الركن الديني الكبير يكتنفه  
الشيء الكثير من الغموض والاضطراب ، وقلة  
المعلومات ، ( اذا قارنا ذلك بالحج الاسلامي ، الذي  
تشغل مناسكه وأحكامه وتفاصيله مكتبة واسعة  
هائلة ، وهو مدونٌ تدويننا لا يجد فيه الباحث  
عناء ) • وهنا خلاصة ما جاء في « دائرة المعارف  
اليهودية » المجلد العاشر ( ٨٢ ) :

« ان الحج الى بيت المقدس الذي كان يدعى  
بالزيارة « Re yiah » يؤدي في زمن ثلاثة أعياد ( وهي  
عيد الحصاد ( ٨٣ ) وعيد الفصح « اليهودي » وعيد

---

٨٢ - جيوش انسابكلوبيديا ( Jewish Encyclopaedia-Vol  
See Pilgrimage )

٨٣ - جاء في دائرة المعارف اليهودية تحت عنوان عيد الحصاد ،  
وهو من أعياد الحج الثلاثة الذي كان جميع الذكور  
مكلفين فيه بالعضور في بيت المقدس ، اقرأ عنوان :  
( Pentecos ) .

المظال ) وكان الحج فريضة على جميع اليهود ،  
باستثناء الصغار الذين لم يبلغوا الحلم ، والاناث ،  
والعميان ، والعرج ، والضعفاء والمصابين بأمراض  
بدنية أو عقلية ، وكانت الشريعة الموسوية توجب  
على كل « حاج او زائر » ان يأخذ معه « مقدمة  
للرب » ، ولكنها لم تعين المقدار ، وكان رغم اعفاء  
الاناث والصغار عن الزيارة ، كان يؤمه عدد كبير  
منهم مع الازواج والآباء كما هو الشأن في الاسواق  
العامة ، ولا تغلو الروايات التي وردت عن عدد  
الزائرين في أزمنة مختلفة من المبالغة (٨٤) وكانت  
الخرفان تذبح في عدد كبير ، وكانت جلود الذبائح

---

٨٤ - منها ، ما قيل أنه بلغ عدد الخرفان المذبوحة ، في  
عام بين ٦٣ - ٦٦ م الى ٢٥٦٥٠٠ فاذا فرض أن خروفا  
كان يساهم فيه عشرة رجال من العجاج يبلغ عددهم الى  
أكثر من مليونين ونصف حاج أو زائر ، ويذكر مصدر  
يهودي أنه بلغ عدد الخراف الى ١٢٠٠٠٠ خروفا ، وقد  
اعترف كاتب المقال في « دائرة المعارف » بأنه لا يغلو  
من المبالغة .

تقدم إلى حراس الخانات الذين كانوا يقومون بخدمة الزوار وايوائهم من غير مقابل .

ولم تنقطع عبادة الحج بعد تدمير «المعبد» أيضا، ولما فتح المسلمون بيت المقدس بقيادة صلاح الدين عام ١١٨٧ م ، تسنى لليهود القاطنين في المنطقة الشرقية ان يزوروا بيت المقدس ، وما عداه من الامكنة المقدسة ( بين دمشق ، وبابل ، ومصر ) ، وقد اعتاد اليهود في الشرق ولا سيما في بابل وكردستان من القرن الرابع عشر الميلادي ، ان يؤدوا فريضة الحج مرة في السنة على أقل تقدير ، وكان عدد منهم يقوم بهذا الحج مشيا على الاقدام ، وقد كانت الحروب الصليبية مشجعة لليهود في أوروبا على الحج والزيارة ، وفي عام ١٤٩٢ م عندما اجلي اليهود من اسبانيا ، وهاجر عدد كبير منهم الى مناطق المسلمين ، تضاعف عدد اليهود الزوار ، وربما كانوا يجتمعون على قبر النبي صموئيل في قرية الرامة (٨٥) ،

---

٨٥ - قرية في فلسطين (الجليل) .

حيث كانت تقوم أسواق عيدهم السنوي ، وتقام  
التقاليد الدينية .

يعاتب اليهود اخوانهم القاطنين في بلدان أخرى،  
الذين ضعفت فيهم رغبة الحج والزيارة ، وزهدوا  
فيهما ، بينما ينتهز المسيحيون الفرص لزيارة  
الارض المقدسة .

وللحج أيام معينة يسميها اليهود في الشرق  
وشمالي افريقيا أيام الزيارة ، وقد شاع فيهم ان  
يزوروا فيها قبور عظمائهم ، ومنهم من اشتهر كملك ،  
أو كنبى ، أو كصالح وولي ، وهم يحتفلون بهذه  
الايام بالاكتثار من الادعية واظهار الفرح والسرور ،  
شأنهم في الاعياد العامة ، ويجتمعون بين مساء اليوم  
السابع عشر من تموز الى اليوم التاسع من « آب »  
ثلاثة وعشرين يوما متوالية ، مقابل الجدار الغربي  
لهيكل « سليمان » ، وتبتدىء هذه العبادة في اليوم  
التاسع من آب ، من نصف الليل .

وهناك مشاهد وضرائح وأمكنة محلية ، يُشد إليها الرحال في كل قطر وبلد (٨٦) » .

أما الحج والزيارة عند المسيحيين ، فهنا خلاصة لما جاء في « دائرة معارف الأديان والأخلاق » :

« الحج اسم للرحلة التي يقوم بها الإنسان لزيارة المشاهد المقدسة، مثل مشاهد الحياة الدنيوية لسيدنا عيسى عليه السلام في فلسطين ، أو مراكز زعماء الدين المقدسة في « روما » ، أو الامكنة المقدسة التي تنسب إلى المقبولين من الزهاد والشهداء .

إن الجيل المسيحي الأول لم يشعر بضرورة زيارة مشاهد المسيح والتبرك بها ، بالنسبة إلى المتأخرين الذين عنوا بذلك أكثر ، ولكن انتشرت هذه الزيارة من القرن الثالث المسيحي ، وقد شغف عدد كبير من المسيحيين بالبحث عن مشاهد المسيح وآثاره ،

---

٨٦ - راجع دائرة المعارف اليهودية . عنوان « Pilgrimage » .

وزيارتها ، وغنوا بذلك أكثر مما عنوا بتتبع  
تعاليمه ووصاياه .

وقد شاعت زيارة مشاهد روما من القرن الثالث  
عشر على حساب زيارة الارض المقدسة ، وان لم  
تنقطع زيارة الارض المقدسة بتاتا ، وكانت «روما»  
المدينة التي تلي بيت المقدس في الاهمية ، يؤمها  
الناس للزيارة في عدد كبير وجم غفير .

ان الاسباب التي بلغت بها البابوية قممها، جعلت  
روما مركزا للزيارة ، ولا سيما ضريحي القديس  
بطرس والقديس بولس قد أضفتا عليه من العظمة  
والجلال ، ما جعلها مثابة للمسيحيين الكاثوليك في  
العالم كله ، وازدحموا فيها ازدحاما كبيرا، وقد كان  
اقبال الزوار عظيما على سراديب الاموات  
( Cata combs ) ( ٨٧ ) التي تقدر لاجل عظام الشهداء ،  
ان الزوار لم يتوقفوا عن زيارة « روما » في أي

---

٨٧ - تقع أشهر هذه السراديب في الفاتيكان .

فترة من فترات التاريخ ، وقد جعلتها كثرة الكنائس والآثار التاريخية المقدسة محط أنظار الناس في كل زمان .

والقارىء يتخيم بكثرة أسماء القبور والضرائح والمشاهد العامة في أرض فلسطين ، والمحلية المنتشرة في كل قطر أو ولاية ، أو بلد يقطنه اليهود والمسيحيون من زمن بعيد ، وصاحب مقال ( الحج والزيارة ) في « دائرة المعارف اليهودية » وفي « دائرة الديانات والاخلاق » يسرد أسماء ضرائح ومشاهد للصالحين والمقبولين في أقطار أوروبية وآسيوية مختلفة ، ويذكر الايام والشهور التي تزار فيها ، وما لهذه الزيارات من آداب وتقاليد ، وإذا تأمل القارىء في مدى اهتمام اليهود والمسيحيين بهذه المشاهد ، وتقديسهم لها ، وتجشم الاسفار والمتاعب في سبيلها ، وكيف شغلتهم واستحوذت على مشاعرهم في كل زمان ومكان ، وكيف أثارت فيهم الفلوس في التقديس والتعظيم ، حتى وصلوا الى حد الشرك ، وعبادة غير الله ، عرف سر

شدة انكار النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذه العادة ، واشفاقه من أن يتسرب ذلك الى المسلمين - حملة لواء التوحيد الى الابد ، والامة الاخيرة - وحرصه الشديد على أن يبقى ضريحه ومثواه الاخير بعيدا عن كل شرك وعبادة وغلوة ، وكان ذلك هو الشغل الشاغل له في مرضه الاخير ، فقد روى البخاري عن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قالوا : « لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، فقال ، وهو كذلك : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذّر ما صنعوا » وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قاتل الله اليهود ، اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » ، وعن عائشة رضي الله عنها : « أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة يُقال لها ملارية ، فذكرت له ما رأت فيها من الصور ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولئك قوم اذا

مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله (٨٨) » ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (٨٩) » .

وقد ضيق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السبيل في وجه تجشم السفر الطويل ، وشد الرحل إلى المشاهد والضرائح ، والامكنة المتبركة بقوله المأثور المشهور : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى (٩٠) » فوقى بذلك أمته من الوقوع في فتنة المشاهد والآثار ، كما وقع فيها اليهود والنصارى ،

---

٨٨ - الجامع الصحيح للبخاري ، كتاب الصلاة « باب الصلاة في البيعة » .

٨٩ - رواه مالك في الموطأ .

٩٠ - رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً .

والامم الجاهلية ، وكانت فريسة الشرك والوثنية  
السافرة أحيانا كثيرة .

ولكن طوائف من المسلمين في القديم والحديث لم  
تعمل بوصيئته التي لم ينسها في آخر عهده بالدنيا ،  
ولم تُلَقِ لها بالا ، وافتتنت بالمشاهد والآثار ، وشد  
الرحل اليها من بلدان نائية ، والعكوف عليها تبركا  
وتعبدا ، افتتانا عظيما ، فكان ذلك تصديقا لقوله ،  
وتحقيقا لاخباره : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ  
شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ (٩١) » واغتصبت هذه  
المشاهد والضرائح ، ومنها ما هو مكذوب ومزور -  
حظ المساجد ، وحظ المسجد الحرام في بعض  
الاحيان ، وقد جعلها الجهال في كثير من الاقطار

---

٩١ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول  
صلى الله عليه وسلم : « لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر  
وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ،  
قيل يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن »  
( متفق عليه ) .

« كعبة » يشبّدون اليها الرّحال ، ويقصدونها من نواح بعيدة ، وقد اتخذوها عيداً يعودون اليه في كل سنة ويجتمعون في عدد كبير ، ويقيمون الاسواق .

وقد أجاد شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمّية في وصف هذه الطوائف بجملة التاريخة البليغة ، « مشاهدتهم معمورة ، ومساجدهم مهجورة <sup>(٩٢)</sup> » ، والسائح في الاقطار الاسلامية يواجه هذه المشاهد والضرائح ومساحاتها الواسعة ، وأبنيتها الضخمة ، وقبابها الرفيعة في كل بلد يمرّ به ، ويرى هنالك من أعمال شركيّة كالسجود والتّدور والذبائح ، وأدعية وسؤال من صاحب الضريح ، ما يندى له جبين الاسلام .

أما الديانات الهندية - بما فيها من البوذية والجينيّة والبرهمية - فقد كثرت فيها المشاهد

---

٩٢ - راجع ما قاله شيخ الاسلام في هذا الموضوع في الجزء الاول من منهاج السنة ( ص ١٣٠ - ١٣١ ) .

والمعابد ، والامكنة « المقدسة » المقصودة من  
التواحي والاطراف كثرة فاحشة بطبيعة الحال ،  
وهي الامكنة التي يرون لها شرفا عظيما ، وقدسا  
خاصا ، ويعتقدون فيها بركة لما حدث فيها من  
الوقائع العظيمة ، وأكرم فيها بعض عظمائهم  
بالقرب أو الكلام ، أو الوصول والمعرفة ، أو  
تجلت فيها بعض آلهتهم - كما يزعمون - تجليا  
خاصا ، وكثرت فيها الاعياد الدينية ، والمواسم  
والاسواق التي انصبغت بصبغة الدين .

وأكثر هذه المشاهد والامكنة المقدسة على ساحل  
نهر « الكنج » ( Ganges ) المقدس ، يجتمع فيها أهل  
البلاد في عدد هائل ، للاغتسال في النهر المقدس ،  
ومنها ما يجتمعون فيها سنويا ، أو عدة مرات في  
السنة ، ومنها ما يجتمعون فيها بعد سنين ، كفسل  
Kumbh الذي يجتمعون له بعد اثني عشر عاما ، عند  
ملتقى نهر « الكنج وجمنا » في بريك ( Parayag ) ( ٩٣ )

٩٢ - من ضواحي « الله آباد » المدينة المشهورة .

ومن أشهرها مدينة « بنارس » في الولاية الشمالية ،  
على نهر « الكنج » ويُنعدون الاغتسال فيه كفارة  
للدنوب ، ومن أعظم الحسنات والقربات ، ويؤثرون  
الموت في هذه المدينة ، وتُنقل اليها جثث الموتى من  
النواحي البعيدة ، لتُحرق هناك ، أو تُترك في النهر  
على اختلاف العقائد والعادات والطوائف الهندية ،  
ومنها بلدة « اجودھيا » التي كانت مركزا « لراما »  
( Ram Chander ) و « متھرا » التي لها اتصال بتاريخ  
« كرشنا » ( Krishna ) ومنها « ھردوار » ( ٩٤ ) و كلھما في  
الولاية الشمالية الغربية ، وهناك مشاهد وشواطئ ،  
ومعابد هامة تُعد بالعشرات في شبه القارة الهندية ،  
تختلف فيها العادات والتقاليد باختلاف الاقاليم  
والمناطق ، وباختلاف الطوائف التي تدين بها .

ومن أعظم المراكز المحجوج اليها عند البوذيين  
مدينة « كيا » ( Gaya ) في ولاية « بهار » التي قضى

---

٤٩ - معناه باب المعبود ، أو باب الاله

فيها مؤسس هذه الديانة المؤلَّه ' « كوتم بده »  
Gotam Buddha مدة طويلة ، وتشرف بالشهود أو  
المعرفة التي يسمونها « نيروان » Nir Van

والاعیاد والاسواق التي تُقام في هذه الامكنة  
المقدسة وعلى الشواطىء، مسرح الفوضى والجنايات  
ويتجلى فيها عدم النظام، وعدم النظافة لكثرة الزوار  
والقاصدين الذين قد يبلغ عددهم - خصوصا في  
الاعیاد والاسواق التي تُقام بعد مجموعة من السنين  
الى ملايين من النفوس ، رغم حرص الحكومة على  
اقامة النظام وقوانين الصحة، والوقاية من الامراض،  
وتقترن بتقاليد جاهلية، وأعمال شركیة ، وأساطير  
الآلهة والالهاة القديمة ، ومن اعجاز القرآن أنه  
لما ذكر حج البيت الذي بناه ابراهيم وحث عليه .  
نمى على الشرك والوثنية الزور الذي تلوث به  
المناسك ، وأعمال الحج والزيارة في الديانات والامم  
الآخرى ، فقال : « ذلك ، ومن يعظم حرمات الله  
فهو خير له عند ربه ، وأحلَّت لكم الانعام الا ما

يتلى عليكم ، فاجتنبوا الرجس من الاوثان، واجتنبوا  
قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به (٩٥) » •

هذه صورة مجملة لاساليب الحج والزيارة ،  
والرحلة الدينية في ديانات العالم الرئيسية ، التي  
لا يزال لها أتباع ومؤمنون يُمدّون بالملايين ،  
وملايين الملايين ، وقد كان شيخ الاسلام أحمد بن  
عبد الرحيم الدهلوي - رحمة الله عليه - عميق  
النظر ، واسع الاطلاع ، غير مجانب للصواب  
والانصاف ، اذ قال في كتابه « حجة الله البالغة » وهو  
يتكلم في موضوع الحج :

وأصل الحج موجود في كل أمة ، لا بد لهم من  
موضع يتبركون به ، لما رأوا من ظهور آيات الله فيه ،  
ومن قرابين وهيآت ماثورة عن أسلافهم يلتزمونها ،  
لأنها تذكر المقرّبين وما كانوا فيه •

---

٩٥ - الأيتان ( ٣٠ - ٣١ ) من سورة الحج •

وأحقّ ما يحج إليه بيت الله ، فيه آيات بيّنات ،  
بناه إبراهيم صلوات الله عليه - المشهود له بالخير على  
السنة أكثر الأمم - بأمر الله ووحيه بعد أن كانت  
الأرض قفرا وعرا ، إذ ليس غيره معجوج ، إلا وظيفه  
إشراك أو اختراع ما لا أصل له ( ٩٦ ) » .

ويستطيع القارئ في سهولة أن يقارن بينها وبين  
الحج الإسلامي ، ويعرف مفارقات بينها وبين هذا  
الركن الرابع ، ويقرأ قوله تعالى ، ويحدث بنعمة  
ربه : « لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه ، فلا  
ينازعنك في الأمر ، وادع إلى ربك إنك لعلى هدى  
مستقيم ( ٩٧ ) » .

### دور الإسلام الاصلاحى فى تشريع الحج :

وقام الإسلام - شأنه فى الأركان الثلاثة

---

٩٦ - حجة الله البالغة ( ج ١ ص ٥٩ ) .

٩٧ - الآية ( ٦٧ ) سورة الحج .

الأخرى (٩٨) - بدوره الاصلاحى التجديدي في الحج ،  
وقد كان أهل الجاهلية قد أدخلوا في الحج عادات  
جاهلية ، وأمورا ابتدعوها ، ما أنزل الله بها من  
سلطان ، واصطلحوا على أشياء ، وتواضعوا عليها  
من الزمن القديم ، فكان تحريفا في الحج الذي شرعه  
الله على لسان ابراهيم ، وتوارثته قبائل العرب جيلا  
بمد جيل ، جنس على كثير من مقاصده وفوائده ،  
وكانت الحمية الجاهلية ، والنخوة للمقبلية ، وما كانت  
عليه قرينش من التفاخر والكبرياء ، وحرصهم على  
التميز ، هو الباعث الاكبر على هذه الزيادات  
والتحريفات ، فجاء القرآن والتشريع الاسلامي  
بازالة هذه البدعة والتحريفات وابطالها ، وقد  
تصدى القرآن الحكيم لكل بدعة من هذه البدع ،  
ولكل موقف من مواقف الجاهلية الدخيلة ، فاجتثه  
واستأصل شافته ، وأبدله بخير منه .

---

٩٨ - الصلاة - الزكاة - الصيام .

فمن ذلك أن قريشا لم يكونوا يدخلون عرفات مع الحجيج ، بل يقفون في الحرم ، ويقولون : نحن أهل الله في بلدته وقطآن بيته ، ويقولون : نحن الخمس ، وما ذلك الا ليطمئئزوا عن سائر الناس ، ويحافظوا على مركزهم الجاهلي ، وعلى ما كانوا يتخيلونه من سمو وامتياز ، فأبطل الله هذا الامتياز الجاهلي وأمرهم بأن يعملوا كما يعمل الناس ، ويقفوا بعرفات ، وقال : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس (٩٩) » ، روى البخاري بأسناده عن عائشة رضي الله عنها : « كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الخمس ، وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أن يأتي عرفات ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله : « من حيث أفاض الناس » قال ابن كثير ، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسُّدِّي ، وغيرهم رضوان

---

٩٩ - الآية ١٩٩ من سورة البقرة .

الله عليهم واختاره ابن جرير، وحكى عليه الاجماع .

ومنها أن أهل الجاهلية كانوا قد اتخذوا الموسم سوقا للتفاخر والمساجلة ، كما كان شأنهم في «عكاظ» و «مجنة» و «ذي المجاز» ، وكانوا ينتهزون كل فرصة للاجتماع وتلاقي القبائل للتطاول بالانساب، وماثر الأباء وعدد المفاخر ، وكان الاجتماع في «منى» خير مكان لارضاء العاطفة الجاهلية ، فنهى الله عن ذلك ، وأبدلهم بما هو خير منه ، وهو ذكر الله ، فقال : « فإذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » (١٠٠) . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم ، فيقول رجل منهم : كان أبي يُطعم ويحمل الحملات ، ويحمل الديات ، ليس لهم ذكر غير فعال آباءهم ، فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : « فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » .

---

١٠٠ - الآية ٢٠٠ من سورة البقرة .

ومنها أن الحج قد فقد على مر الايام شيئا كثيرا من قدسه وطهره ونزاهته ، وأصبح عيدا من أعياد الجاهلية ، ومكانا للثهو والخصام ، فذم الله ذلك في القرآن ، وقال : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج (١) » قال ابن كثير ، قال عبد الله بن وهب ، قال مالك ، قال الله تعالى : ( ولا جدال في الحج ) فالجدال في الحج - والله أعلم - أن قریشا كانت تقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة ، وكانوا يتجادلون ، يقول هؤلاء : نحن أصوب ، ويقول هؤلاء : نحن أصوب ، هذا فيما ترى ، والله أعلم ، وعن محمد ابن كعب قال : كانت قریش اذا اجتمعت بمنى ، قال هؤلاء : حجبتنا أتم من حجكم ، وقال هؤلاء : حجبتنا أتم من حجكم .

ومنها أن العرب كانوا في جاهليتهم اذا ذبحوا الهدايا والضحايا لألهتهم وضعوا عليها من لحوم

١ - الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

قربا بينهم ، ونضحوا عليها من دمائها ، فقال تعالى :  
 ( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها (٣) ) قال ابن كثير ،  
 قال ابن ابي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا  
 محمد بن ابي حماد ، حدثنا ابراهيم بن المختار عن  
 ابن جريج ، قال : كان أهل الجاهلية ينضحون  
 البيت بلحوم الابل ودمائها ، فقال أصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم : فنحن أحق أن ننضح ، فأنزل  
 الله تعالى : ( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن  
 يناله التقوى منكم ) .

ومنها أن العرب كانوا إذا نوا الحج تحرجوا  
 من دخول البيوت من الابواب ، وكانوا يرون ذلك  
 اثما وتفريظا في جنب الله وفي جانب الحج ، وكانوا  
 يتسورون البيوت من ظهورها ما داموا محرمين ،  
 فأبطل الله ذلك ، ونفى أن يكون من أنواع البر ،  
 وقال : ( وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ،  
 ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها (٣) )

٢ - الآية ٣٧ من سورة الحج .

٣ - الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

قال البخاري : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن  
اسرائيل ، عن أبي اسحاق ، عن البراء ، قال : كانوا  
إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره ، فأنزل  
الله : ( وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ،  
ولكن البرّ من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها (٤) )  
وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة ، عن أبي  
اسحق ، عن البراء ، قال : كانت الانصار إذا قدموا  
من سفرهم ، لم يدخل الرجل من قبل بابه ، فنزلت  
هذه الآية .

ومنها أن أناسا من العرب كانوا يستحيون  
ويتأثمون من أن يخرجوا للحج مع زاد يبلّغهم إلى  
البيت ويتجلّدون ، ويتظاهرون بالتوكل ، ويقولون :  
نحن ضيوف الله ، ولا نتزود ولا نتبلّغ ، وكانوا لا  
يتخرجون من التسول والشحاذة ، والاستجداء ،  
ويعدّون ذلك في سبيل الله ، فنهاهم الله عن ذلك ،

---

٤ - الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

وقال : وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى (٥) قال  
ابن كثير : قال العوفي عن ابن عباس : كان أناس  
يخرجون من أهلهم ليست معهم أزودة ، يقولون :  
نحج بيت الله ولا يطعمنا ؟ ، فقال الله تعالى :  
( تزوّدوا ) ما يكفّ وجوهكم عن الناس ، وأخرج  
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : كان  
أهل اليمن يحجّون ولا يتزوّدون ، ويقولون : نحن  
المتوكّلون ، فأنزل الله : ( وتزوّدوا فان خير الزاد  
التقوى ) .

وكذلك كانوا يتأثمون من التجارة في الموسم ،  
وذلك تحريم ما أحلّ الله ، روى البخاري عن ابن  
عباس رضي الله عنه قال : كانت عكاظ ومجنتة وذو  
المجاز أسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في  
الموسم ، فنزلت : ( ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا  
من ربكم (٦) ) في مواسم الحج . وعن مجاهد رضي

٥ - الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

٦ - الآية ١٩٨ من سورة البقرة .

الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج ، يقولون أيام ذكر ، فأنزل الله : ( ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ) .

ومنها أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت عراة ، ويقولون : لا تطوف في ملابس عصينا فيها ، فكان ذلك بابا لفساد عظيم ، وتشريعا جاهليا ، فأنزل الله تعالى : ( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد (٧) ) روى مسلم والنسائي ، وابن جرير - واللفظ ل - عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، الرجال والنساء ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول : اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فقال تعالى : « خذوا زينتكم عند كل مسجد »

---

٧ - الآية ٣١ من سورة الاعراف .

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله :  
« خذوا زينتكم عند كل مسجد » الآية ، قال : كان  
رجال يطوفون بالبيت عمرة ، فأمرهم الله بالزينة ،  
والزينة اللباس ، وهو ما يوازي السواك ، وما سوى  
ذلك من جيد البزّ والمتاع ، فأمرُوا أن يأخذوا  
زينتهم عند كل مسجد ، وقال ابن كثير : هكذا قال  
مجاهد وعطاء ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ،  
وقتادة والسدي والضحاك ، ومالك ، عن الزهري  
وغير واحد من أئمة السلف في تفسيرها ، أنها نزلت  
في طوائف المشركين بالبيت عمرة .

وقد قرُن ذلك بأمر وتنفيذ من رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، فأرسل أبا بكر رضي الله عنه في  
العام التاسع ، وأمره بأن يُعلن : « لا يطوف بالبيت  
عريان » وقد روى البخاري بإسناده عن أبي هريرة  
رضي الله عنه : « أن أبا بكر الصديق بعثه في الحجة  
التي أمّره النبي صلى الله عليه وسلم عليها قبل  
حجة الوداع يوم النحر في رَهط يؤذّن في الناس

« لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت  
عريان (٨) » .

ومنها أن الطوائف من أهل العرب كانت تتعرج  
أن تطوف بالصفاء والمروة ، وكانوا يرون ذلك من  
أمر الجاهلية ، فأنزل الله : « ان الصفا والمروة من  
شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه  
أن يطوف بهما (٩) » قال عروة عن عائشة رضي  
الله عنها ، قالت : قلت أرأيت قول الله تعالى : « ان  
الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو  
اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » قلت : فوالله  
ما على أحد جناح أن لا يتطوف بهما ، فقالت عائشة  
رضي الله عنها : بئس ما قلت يا ابن أخي ، انها لو  
كانت على ما أولتها عليه ، كانت فلا جناح عليه أن  
يَطُوف بهما ، ولكنها إنما أنزلت ، ان الانصار قبل

---

٨ - الجامع الصحيح للبخاري - كتاب المغازي « باب حج أبي

بكر رضي الله عنه بالناس » .

٩ - الآية ١٥٨ من سورة البقرة .

أن يجلسوا كانوا يهتون لمناة الطاهية التي كانوا  
 يعبدهونها عند المثلث ، وكان من أهل لها يتحرج  
 أن يطوف بالصفاء والمروة ، فسألوا عن ذلك رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يا رسول الله اننا  
 كنا نتحرج أن نطوف بالصفاء والمروة في الجاهلية ،  
 فأنزل الله عز وجل : ( ان الصفاء والمروة من شعائر  
 الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن  
 يطوف بهما » (١٠) قالت عائشة رضي الله عنها : ثم  
 قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما ،  
 فليس لاحد أن يدع الطواف بهما (١١) وقال البخاري  
 رضي الله عنه : حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا  
 سفيان عن عاصم بن سليمان : قال : سألت أنسا عن  
 الصفاء والمروة ، قال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية ،  
 فلما جاء الاسلام أمسكنا عنهما ، فأنزل الله عز وجل :  
 ( ان الصفاء والمروة من شعائر الله ) .

١٠ - الآية ١٥٨ من سورة البقرة .

١١ - أخرجه في الصحيحين .

وبهذه الاصلاحات البعيدة الاثر رد التشريع  
الاسلامي هذا الركن العظيم الى أصله الابراهيمي ،  
ووضعه الاصيل النقي البعيد عن تأويل الجاهلين ،  
وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين (١٢) .

وقد أحسن شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم  
الدهلوي ، اذ قال :

« اعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث بالملة  
الحنيفية الاسماعيلية ، لاقامة عوجها وازالة تحريفها  
واشاعة نورها ، وذلك قوله تعالى : « ملة أبيكم  
ابراهيم » ، ولما كان الامر على ذلك ، وجب أن تكون  
أصول تلك الملة مسلمة ، وسننها مقررة ، اذ النبي  
إذا بعث الى قوم فيهم بقية سنة راشدة ، فلا معنى  
لتغييرها وتبديلها ، بل الواجب تقريرها ، لانه  
أطوع لنفوسهم ، وأثبت عند الاحتجاج عليهم (١٣) » .

---

١٢ - استفدنا في هذا البحث من توجيهات استاذنا العلامة السيد  
سليمان الندوي رحمه الله في سيرة النبي ، المجلد الخامس .

١٣ - حجة الله البالغة ( ج ٢ ص ٥٦ ) .

## فهرست

- المقدسة ..... ٣
- الإسلام دين توحيد وتجريد ، لا وساطة فيه ولا تمثيل  
حاجة الإنسان الى « مشاهد » يوجه اليه أشواقه ويحقق  
رغبته من التعظيم والدنو ..... ٧
- شعائر الله وحكمتها ..... ٧
- عنصر الهيام والحنان ، في طبيعة الإنسان ، أثرهما في  
الحياة ، ومنزلتهما من الدين ..... ٨
- « الصفات » هي التي تثير الحب ، وتبعث الحنان ، لذلك  
أطال وأكثر من ذكرها القرآن ..... ١١
- ما قيمة كأس لا تطفح ولا تفيض ؟ ..... ١٢
- تسلية البيت والحج لحنان المسلم وهيمانه ..... ١٣
- طفرة ، أو قفزة واسعة من سجن ضيق الى عالم فسيح  
تعد لمبتدئ العقل والمادة ، ودعوة الى الإيمان بالغيب واتباع  
الأمر المجرد ..... ١٧
- « الحاج » طوع إشارة ، ورهين أمر ..... ٢١
- فضل المكان والزمان ، وموسم الحب والحنان ..... ٢٣
- تجديد الصلة بامام الملة الحثيفية « إبراهيم » من أعظم مقاصد الحج ..... ٢٦